٥٢

مجلة
روايات أحلام

لآلئ الغيرة

www.elromancia.com

مرمورية

مجلة روايات أحلام

لآلىء الغيرة

كيف نستطيع أن نمنع خفقات القلب عندما تدق في الاتجاه الخاطىء؟ أحبت أنجيلا دانيال ولكن هذا الحب كان مستحيلاً فدانيال خطيب ابنة خالتها بيرنيس الجميلة المدللة، وتفصلهما أيام عن الزفاف.

وهربت العروس قبل ليلة الزفاف، فمدّت انجيلا يد المساعدة، لكن دانيال الذي تجرّع كأس الإذلال غير مستعد أن يفتح قلبه لقريبة عروسه الخائنة. كل ما أراده من أنجيلا أن تلعب دور العروس البديلة لفترة قصيرة تكفيراً عن الخطأ الذي ارتكبته ابنة خالتها.

تُرى كيف لها أن تلعب هذا الدور دون أن تخونها مشاعرها؟ وماذا سيبقى لها حين تعود بيرنيس تائبة؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١.٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ـ القلب يخطىء أحياناً

علّقت أنجيلا الفستان فوق حافة الخزانة، وتراجعت تتأمل بإعجاب القماش اللمّاع المتدلي من المشجب.

إنه أجمل فستان صممته وحاكته أيدٍ ماهرة. فستان زفاف مثاليّ.. إنه الأنموذج الأمثل للفستان الذي طالما تصورت نفسها ترتديه في ليلة فرحها.

تخيلت أنجيلا نفسها تسير وهي ترتديه بين مقاعد الكنيسة نحو المذبح، حيث الذيل العريض الجميل يتمايل خلفها بنعومة، وغيوم من التول الأبيض تغطي وجهها السعيد. وهناك عندالمذبح يستدير دانيال ليراقب عروسه تقترب وابتسامة خفيفة تتصدر وجهه الأسمر الأنيق، الساخر قليلاً.

إنها صورة رائعة.. لكن هناك خطأ ما في مخيلتها.. حين تذكرته أنجيلا حبست أنفاسها لتطلقها بتنهيدة طويلة... فهي لن تكون العروس التي سترتدي هذا الثوب الرائع، ولن يكون دان بانتظارها عند المذبح. ففستان الفرح هو لابنة خالتها بيرنيس، وبيرنيس هي التي ستتزوج من دانيال سايرز.

بالنسبة لكل الإثارة السعيدة والنشاط الصاخب الملازم لزفاف بيرنيس، فأنجيلا مجرد ابنة خالة بيرنيس، حصلت على إجازة من عملها تستطيع خلالها مساعدة خالتها في التحضير لزواج ابنتها الوحيدة.

فقدت أنجيلا والديها منذ حوالي السنة، وهي لطالما اعتبرت نفسها

مكتفية متزنة، رومانسية.

ودون شقيق أو شقيقة، بقيت أنجيلا وحيدة بعد موت أبويها، ومع أن لها وظيفة محترمة ولا تعاني مشاكل مادية، فقد كانت تنظر إلى العام المنصرم على أنه مرحلة مؤلمة من حياتها. ففي الحادية والعشرين من العمر، ليس من دواعي السعادة أن يكون المرء وحيداً، حتى ولو كان يملك شقة خاصة ووظيفة محترمة.

ثم جاءت هذه الدعوة الضاغطة من خالتها رامونا لقضاء ستة أسابيع في بلدة يونيكا القريبة من ضفاف نهر الهدسون. وهي تبعد حوالى ثلاثمائة وثلاثين كيلو متراً عن نيويورك. والخالة التي تحب ابنة أختها أنجيلا لم تكن تجد غضاضة في أن تترك أنجيلا عملها الجيد ستة أسابيع لتساعدها في التحضير لحفلة زفاف ابنتها الوحيدة بيرنيس.

هكذا وصلت أنجيلا إلى يونيكا، تحس بالسعادة والاسترخاء متوقعة قضاء عطلة عائلية سعيدة. كانت المرة الأولى منذ وفاة والديها التي تحس فيها بالراحة الفعلية، والتي بدت أنها تجعل من شمس الخريف أكثر إشراقاً، وكل سنتمتر من الريف حول البلدة أكثر جمالاً مما تذكره.

إنها تحب خالتها وزوج خالتها، ومولعة حقاً بابني خالتها: بيرنيس بتهورها الجذاب، وتشارلي بوجهه المتجهم المحافظ لكن مع طيبة قلب لا شك فيها. وقد أحست أنجيلا أنها ستقضي ستة أسابيع من الفرح والراحة، رغم متاعب التحضير لزفاف بيرنيس القريب.

أول أمسية لها في بيت خالتها، تعرفت على دانيال، الرجل الذي أسر دون توقع قلب ابنة خالتها، وقطع الطريق على الكثير من المعجبين بها في يونيكا... دان ذاك الشاب الأسمر الذي سمعت عنه أنجيلا عدة تعليقات.

فقد علّق تشارلي على خطيب أخته بالقول: إن الرجل ليس أحمقاً، وربما يكون الرجل المناسب الذي يستطيع أن يبقي بيرنيس ضمن النظام.. وهذا الكلام دفع بيرنيس لمدّ لسانها لشقيقها والإعلان عن أنها

لا تجد صعوبة في إدارة دان حول إصبعها الصغير، ولهذا ستقبل الزواج منه، الأمر الذي دفع الخالة رامونا إلى السخرية من ابنتها والقول إنه رجل واثق من نفسه إضافة إلى جاذبيته ومحبة الجميع له.

ثم دخل دانيال في حياة أنجيلا... دون قصد منه، فهو لم يكن يهتم بها أكثر من اهتمام رجل بابنة خالة خطيبته. حديثهما كان يلتزم بالتعليقات وكلام المجاملات الذي يتبادله الناس عادة في لقائهم لأول مرة. لكن ودون قصد منها أيضاً وجدت أنجيلا نفسها تراقبه بشغف، تنتظر منه النظرة السريعة التي تضيء وجهه الأسمر الساخر بمرح وتفهم.. تلاحظ طريقة التفاتة رأسه ذات الطابع الخاص، نبرات صوته العميقة.. وفي بيت خالتها وفي الجو العائلي، كان هو الشخص الوحيد والغريب الذي يهمها.

فيما بعد، وفي غرفة نومها، أكدت لنفسها أنها مخطئة، وأنها حين تراه ثانية ستراه كما هو.. رجل جذاب جداً سيتزوج ابنة خالتها، وبهذا سيصبح قريباً لها بالزواج.

لكن، خلال الأسابيع التي تلت، وجدت نفسها، وببطء، مضطرة لأن تتقبل وبطريقة مأساوية لا يمكن تفسيرها، واقع أن لخطيب ابنة خالتها جاذبية لا تقاوم بالنسبة لها. ولكنها راحت تُقنع نفسها أن إعجابها بدان هو مجرد إعجاب مؤقت سينتهي مع انتهاء حفلة زفافه من ابنة خالتها بيرنيس. ومع رؤيتها لدان كل يوم، أدركت أنجيلا أنها يمكن أن تتخلى عن أي شيء لتكون مكان بيرنيس.

أثناء صراعها مع مشاعرها تمنت أنجيلا لو تجد عذراً مقبولاً للرحيل قبل حفلة الزفاف.. لكن الجميع بمن فيهم هي، كان سعيداً بالترتيب المحظوظ الذي أمّن لها البقاء حرة مع أقاربها الوحيدين، في مثل هذا الوقت السعيد... ولن يكون سهلاً أن تتركهم أبداً.

بقيت أنجيلا تحاول إخفاء مشاعرها عن الجميع، وكانت في أحيان كثيرة لا تتعدى النصف ساعة، تجلس مع دان، تتبادل معه أحاديث عامة

بانتظار وصول بيرنيس. فيخامرها إحساس سخيف أن بإمكانها إيقاف الزمن بدلاً من سرعته دون توقف نحو موعد الزفاف الذي سيحرمها من رفقة دان.

ولكن سخافة أوهامها صدمتها بقوة، حين تطلعت فيما بعد إلى الفستان الذي سترتديه بيرنيس في حفلة زفافها من دان بعد أقل من أسبوع.. ودورها حينئذ يتلخص في السير خلف العروس وإظهار الود والفرح والاهتمام المحب بمستقبل ابنة خالتها.

وصلت أنجيلا إلى هذه النقطة من التفكير حين سمعت وقع أقدام على السلم، أخبرتها أن خالتها قادمة.. ثم تقدمت نحوها وراحت تبدي إعجابها بمساعدتها لها.

- إنه جميل.. أليس كذلك؟ بيرنيس بشعرها الأسود وعينيها السوداوين ستبدو رائعة فيه.

أجابت أنجيلا التي كانت تظن بكل غباء أنه يناسب شعرها الأشقر وعينيها الرماديتين أكثر، بمرح لم تكن تحس به:

- ستبدو كاللوحة.. لا أظن أنني شاهدت ثوب زفاف أجمل منه.

تنهدت الخالة، بمزيج من الرضى، الإثارة، الراحة، والفخر الأمومي.

- أنا مسرورة لأنها قررت أخيراً... لن أقول هذا لغيرك أنجيلا، لكنها سببت لي ولوالدها الكثير من القلق، حتى أننا ظننا أنها لن تستقر وتصبح مسؤولة.

- من الطبيعي أن تحس الفتاة أنها لا تود تحمل المسؤولية والجميع مغرم بها، يا خالتي. بيرنيس طالما كانت تحب المرح، وكثرة المعجبين حولها.

- أعلم هذا.. أعلم...

أحست الخالة أنها قادرة على النظر إلى الماضي والتحدث بحرية عن بعض ما مر في حياة أنجيلا من أحداث، خاصة أمام ابنة أختها.

- كانت بيرنيس تتملكها أفكار مقلقة... حماسة عنيفة تدفعها إلى أي شخص تحس أنه يحبها، ولو لساعتها. في مثل هذا الوقت من السنة الماضية، أعلنت عزمها على أن تصبح ممرضة، لأن طبيباً فاتناً، نسيت اسمه حتى، كان يقيم في البلدة، ووقع في حبها يوم عيد الحصاد. ولحسن الحظ، حصل على وظيفة خارج البلاد قبل أن تقدم على عمل نهائي... ثم بعد ذلك أرادت الظهور على المسرح، وكان هذا أكثر جدية.

- لكن، هل لها موهبة في التمثيل؟

مع غضب الخالة من تصرفات ابنتها، لم تستطع إنكار مزاياها:

- أعتقد هذا.. فقد كان لها الدور الرئيسي في التمثيليات التي يقدمها الهواة في المدارس والحفلات الخيرية والاحتفالات العامة.. وحين جاء أحد الشبان من نيويورك لإنتاج مسرحية هنا، وقبل أن يصلوا إلى نهاية التدريب، كان قد قرر وبيرنيس أن يأخذها إلى برودواي لتتعلم التمثيل الدرامي. هذا الشاب، بارن أو بيرون، لا أذكر اسمه، ملأ رأسها بتفاهات حول مستقبل تمثيلي لها بعد أن يتزوجا.

- اوه.. أكان سيتزوجها؟

- يا إلهي!.. أجل! كلهم كانوا سيتزوجونها. نادراً ما التقت بيرنيس بشاب لا يريد الزواج منها. ولحسن الحظ أدركت في الوقت المناسب أن في الحياة أكثر من الحب وباقات الورد.. ففشلت الفكرة، ثم ظهر دان في حياتها بعد فترة قصيرة.

- بالنسبة لدان، أتشعرين بالرضى؟

وظهرت بسمة ارتياح على وجه الخالة:

- تماماً! وبالطبع، الزواج منه سيعني أن تسافر معه إلى نيويورك. لكننا نحبه ونثق به، ونحن ندرك أنه لا يمكننا إبقاء بيرنيس معنا على الدوام. كما أن عمله ممتاز فهو مستشار مالي في إحدى شركات المال الكبرى في وول ستريت، لذا فهو محترم من الجميع. ألا ترين ذلك يا

حبيبتي. . . والآن يجب أن أشرف على تحضير العشاء.

رافضة عرض المساعدة، تركت الخالة رامونا ابنة أختها لتعيد فستان الفرح إلى الخزانة، مع بعض الثياب التي خلفتها بيرنيس في عجلتها العاصفة للخروج منذ ساعتين.

ما كادت أنجيلا تنتهي، حتى دخلت بيرنيس راكضة إلى الغرفة، وصاحت:

ـ حبيبتي، كم رائع منك توضيب ثيابي.

وضحكت دون خجل متابعة:

ـ كنت آمل أن تفعلي لكنني خجلت من أن أطلب منك.

ضحكت أنجيلا مسحورة كالعادة بلمعان عيني ابنة خالتها وقالت:

ـ جئت أتفرج على فستان الفرح. . إنه جميل!

ـ أجل. . أليس كذلك؟ والدة دان مريضة وعليه السفر إلى نيويورك، وقد لا يعود إلا يوم الزفاف، أليس هذا مزعجاً؟

وبدا على أنجيلا الأسى أكثر من العروس، فقالت:

ـ بيرنيس. . أنا آسفة. . . هذا أمر مريع بالنسبة لك.

ـ صحيح. . تكدرت في البداية، لكنني الآن فكرت بالأمر وأدركت أنني في هذا الأسبوع المزدحم بالعمل لن يتسنى لي مشاهدته على كل الأحوال.

تسلل إحساس بارد إلى قلب أنجيلا وهي تسأل:

ـ وهل سافر؟

ـ اوه. . لا! سيسافر في الغد. . وسيحضر الليلة للعشاء طبعاً.

تنفست أنجيلا الصعداء ارتياحاً. . لكن بحذر كي لا تلاحظ بيرنيس شيئاً ثم سألتها:

ـ هل ذهبت معه إلى مكتب الفرع الذي يشرف عليه هنا؟

ـ لا. . ولكننا تغدينا معاً، وعاد إلى عمله.

ـ أكنت تتبضعين؟

لم ترد بيرنيس فوراً، بل التقطت مبرد الأظافر وجلست قرب النافذة وبدأت تبرد أظافرها بتركيز. . ثم قالت:

ـ لا. . لم أكن أتبضع. بل التقيت صديقاً. . شخص كان هنا منذ زمن ولم أشاهده طوال الوقت وتناولنا القهوة معاً.

ـ أهو صديق مدرسة قديم؟

ـ لا. . أبداً. إنه شاب التقيته في أحدى حفلاتنا المسرحية في الشتاء الفائت. . . وسيعجبك أنجيلا. . فله طريقة فريدة ومهمة في النظر إلى الأمور.

ـ أهو الرجل الذي جاء لينتج تلك المسرحية لكم؟

رفعت بيرنيس نظرها إليها، ثم قالت ببرود دون أثر للارتباك:

ـ أعتقد أن أمي أخبرتك عنه؟

أحست أنجيلا بالارتباك فردت:

ـ قالت لي خالتي رامونا شيئاً عن منتج محترف ساعد مجموعة من الهواة. . . وانه أعجب بك وأراد إظهارك على المسرح.

ضحكت بيرنيس بوقاحة وسخرية:

ـ أعتقد أنها رسمت لك صورة مخيفة. والدتي دائماً تميل إلى الذعر والمبالغة، فيما يتعلق بصداقاتي مع الرجال.

فكرت أنجيلا أن هذا لا ينطبق بالفعل على الخالة رامونا. . ولاحظت أن السرور بدا على وجه بيرنيس وكأنها وجدت فكرة جيدة:

ـ لم أفكر هكذا من قبل. . . لكن لو كان بارني صديق لك، فسيسهل هذا الأمور.

ـ أية أمور؟ على أية حال إنه ليس صديقي، لذا فالأمر لا وجود له.

ـ يمكن أن تدعي أنه صديقك!

ـ لماذا؟

تذكرت أنجيلا طفولتهما حين كانت بيرنيس تورطها في مواقف سلبية. . فجأة أصبح صوت بيرنيس هامساً علها تقنع بذلك أنجيلا

بفكرتها:

ـ حسناً.. أترين... بارني سيمكث في يونيكا لمدة أسبوع، وهو صديق طيب لي، ولا أريد أذية مشاعره بأية طريقة، ولكن أمي ستجن غضباً لو دعوته إلى هنا.

ـ معها حق! فليس من الطبيعي استقبال صديق قديم لك قبل موعد زفافك لشخص آخر بأسبوع، كما أتصور.

ـ اوه.. هراء! لا أهمية للأمر هكذا. الأمر فقط أنني أريد أن أكون مضيافة له في منزلي دون أن تسبب لي أمي المتاعب. أفكر لو تقولين إنك تعرفين بارني من نيويورك... وهذا سهل عليك.. عندها لن تقلق أمي حين أدعوه إلى هنا بل سترحب به من أجلك..

ـ بيرنيس.. أرجو أن تفكري قليلاً بما تطلبين مني. أتتوقعين أن أكذب على خالتي رامونا؟ وماذا لو اكتشفت ذلك؟

ـ اوه أنجيلا.. هذه ليست كذبة بل ترتيب مختلف للواقع!

ـ ولسبب لا يستأهل هو أن تكوني برفقة رجل قبل أسبوع من زواجك من آخر. ألا ترين أن هذا مستحيل وهو غير مألوف؟.

ـ حبيبتي! لا تكوني مثالية هكذا وتصابين بالصدمة. أنت تجعلين ضميري يؤنبني حين تتكلمين هكذا.

وضحكت باستهتار مكملة:

ـ إذا كنت لا تريدين إسداء خدمة لي فلن أضغط عليك.

بدا على بيرنيس أنها صرفت النظر عن خطتها بشكل طبيعي، مما جعل أنجيلا تحس أنها على وشك أن تخطو على سلم غير موجود. وبالفعل بعد تفكير في الموضوع لاحقاً تساءلت إذا كانت بدت معتدة بنفسها ومستقيمة، لكنها لم تكن تنوي إضاعة وقت أكثر في التفكير بالأمر. فقد كانت مشغولة الفكر بأمور أخرى، فهي قلقة ليقينها بأن هذه الليلة قد تكون آخر ليلة ترى فيها دان قبل يوم زفافه.

وفي المساء، ولأن بيرنيس لم تكن جاهزة بعد، وأمها وأبيها

مشغولان بأعمالهما الخاصة، أُتيحت الفرصة لأنجيلا أن تستقبل دان وتتحدث إليه لأكثر من ربع ساعة. هما دائماً يشعران مع بعضهما بالراحة، لكن ليس على أساس حميم.. إلا أن أنجيلا كانت مسرورة، فالليلة لديها موضوع حديث محدد تستطيع مناقشته مع دان، فسألته عن أمه ومرضها، ووجدت نفسها مع قليل من الود والعطف قادرة على السيطرة على مشاعرها دون أي ملاحظة من دان.

تنهد دان وعبس قليلاً:

ـ إن أمي مريضة جداً يا أنجيلا. وأتمنى لو أنني كنت ذهبت إليها اليوم، لكن هذا كان مستحيلاً.

ـ أكانت تتوقع قدومك اليوم؟

ـ لا. وربما لا تعرف أن شقيقتي أرسلت تخبرني بمرضها، فلا بد أنها تريد إبعادي عن أي شيء قد يفسد زواجي..

وتقدم إلى النافذة مفكراً ويداه في جيبي بنطلونه، فاقتربت أنجيلا لتقف على مسافة منه، متمنية لـو أن لهـا الحق بلف ذراعيها حوله وقالت:

ـ أعرف كم يكون رهيباً أن يصاب المرء بالقلق على والديه والخوف من فقدانهما.

نظر إليها وفي عينيه الرقة. مد يده إليها باندفاع نفسي لإعطاء وتلقي العزاء بأبسط الطرق:

ـ أذكر... لقد أخبرتني بيرنيس بفقدانك والديك منذ أقل من سنة، أليس كذلك؟

تقدمت منه تضع يديها في يديه، مقدّرة له هذه البادرة:

ـ أجل. لقد كان هذا مؤلماً جداً.

أحست أنجيلا بأصابع دان القوية الدافئة حول أصابعها مما أشعرها بجاذبيته، ولكنها اضطرت إلى كبح مشاعرها. فهو لا يبادلها هذا الشعور إطلاقاً. ووقفا للحظات جنباً إلى جنب بصمت، وبشيء من التعاطف

والمودة ضغط يده على يدها قليلاً ثم تركها ليقول بلهجة عادية:

ـ لا أريد أن أستغرق في القلق، فشقيقتي ستيلا تقول إن لا خطر على أمي، لكن على الأرجح ستجرى لها عملية، فقلبها ليس سليماً.

بدأت أنجيلا بتمتمة بعض كلمات التشجيع، فجأة شاهدت على وجهه وعينيه تغييراً.. فصوت بيرنيس قطع عليهما الحديث وإذا باهتمامه الذي كان لها تلك اللحظة، يتبدل في لمح البصر. فانطلق متشوقاً إلى الأمام في وقت كانت بيرنيس تدخل فيه ترسم الأسف على وجهها:

ـ مرحباً حبيبي... تأخرت عليك؟

ورفعت بيرنيس ذراعيها حول رقبته تقدم له خدها، فبدت وكأنها أشعة شمس تخترق غيمة. وابتسم دان، وكأنه شاهد تلك الشمس فجأة في يوم مظلم. فكرت أنجيلا أن تتركهما وتساعد خالتها في المطبخ.

على الرغم من خشيتها لتلك اللحظة حين تضطر إلى وداعه، إلا أنها أحست بالغبطة لانتهاء الأمسية، وعلمت أن وداعها الودي اللطيف قامت به دون عاطفة ظاهرة، ودون أن يلحظ أحد كنه مشاعرها تجاه دان، حتى هو نفسه. وهذا ما جعلها ترتاح قليلاً، وهي تأوي إلى غرفتها، حيث راحت تدور في مخيلتها صور اللقاء مع دان وما رافق ذلك من مشاعر وأحاسيس.

استطاعت أنجيلا في الأيام التالية أن تبقي مشاعرها تحت مستوى الوعي لديها وبمعنى آخر تحت سيطرتها. فأغرقت نفسها بالعمل وتفاصيل التحضيرات للعرس.. ولا عجب أن تقول لها خالتها أكثر من مرة إنها لا تدري ما كانت ستفعل لولاها، ولولا تعاونها وحمل أكبر قدر من المسؤولية عن كتفيها. وأكدت لها أنجيلا أنها تحب ما تقوم به، متسائلة في نفسها عما إذا كانت أية فتاة في التاريخ قد عملت بكل هذا التعب ليتزوج الرجل الذي تحبه من سواها.

بيرنيس، البطلة ومركز الاهتمام في كل هذا، كانت تدخل وتخرج عليهما من وقت إلى آخر تبتسم بحلاوة للجميع، معلنة كم أن أنجيلا

وأمها طيبتان، وتتركهما بكل طيبة خاطر تقومان بكل شيء وتتخذان كل قرار.

في نهاية الأسبوع، لاحظت أنجيلا أنها لم تعد ترى بيرنيس كثيراً، وأن ما تراه منها غير طبيعي. وكأنها كانت في عالم منفصل خاص بها، وحين تتكلم وتبتسم، كان عقلها وروحها في مكان آخر.. ربما كان ذلك موقف كل عروس، لكن أنجيلا لم تكن تصدق مطلقاً أن التفكير بدان والعرس هو الذي يجعل بيرنيس حالمة هكذا.

كذلك فالخالة رامونا كانت لها بعض حيرتها لتصرفات ابنتها، فقالت:

ـ يا ابنتي العزيزة.. إنه عرسك..! أحياناً تتصرفين وكأنك لا تتوقعين الزواج يوم الأربعاء.

عضت بيرنيس على شفتها، وبدت عليها نظرة القلق، فسارعت أنجيلا تقول:

ـ إنه وقت صعب عليها بغياب دان عنها.

فأرسلت بيرنيس ابتسامة تحبب إليها:

ـ أنجيلا دائماً تعرف كيف تعتذر عني.

ولفت ذراعها حول كتفي ابنة خالتها لتشد بخدها على خد أنجيلا وتتابع:

ـ آسفة أمي.. إنه أمر غير مستحب مني، وأعرف هذا.. لكن لن يطول الوقت حتى تسوّى كل الأمور، فاطمئني.

خلال نهاية الأسبوع وصلت رسالة من دان يقول إنه سيحضر يوم الثلاثاء، فقالت الخالة:

ـ هذا ما ظننته، مع أن يوم واحد قبل الزفاف غير كافٍ.

فذكّرتها أنجيلا:

ـ ليس هناك الكثير أمام العريس ليقوم به قبل الزفاف.

وابتسمت بيرنيس دون اهتمام ولم تقل شيئاً.

جاءت بيرنيس تلك الليلة إلى غرفة أنجيلا لتتمنى لها ليلة سعيدة، وجلست على حافة السرير لتتحدثا قليلاً، فمعظم أوقات طفولتهما كانت بيرنيس تسعى لمشورة أنجيلا التي كانت دائماً تنقذها من المشاكل برجاحة عقلها، وحين ذكرتها بيرنيس بهذا أبدت أنجيلا دهشتها:

ـ لم أكن أعرف أنك تذكرين هذا. لقد نسيت معظم الأمور.

ـ تذكرت هذا مؤخراً، فقد كنت طيبة معي في الأسابيع الأخيرة، وأعتقد أن هذا ما ذكّرني بالماضي.

أحست أنجيلا بالتأثر لهذه العاطفة المفاجئة:

ـ يا عزيزتي.. فعلت ما قد يفعله أي إنسان في هذه الظروف وأنا أكيدة أنك كنت ستفعلين لي الشيء نفسه.

ـ أوه.. لا.. ما كنت سأفعل، فأنا أنانية أكثر منك... لكنني أريدك أن تعرفي وتتذكري أنني شاكرة لكل ما فعلتيه لي.

ـ لا تبالغي كثيراً.

أحست أنجيلا بشيء ما يزعج بيرنيس الطائشة اللعوب هكذا لتتكلم بهذه اللهجة باندفاع مفاجيء:

ـ أهناك خطأ ما بيرنيس؟

ـ لا.. لا بالطبع! لم أكن أقصد أن أكون رصينة هكذا.. لكن أردت أن أقول لك هذا. والآن سأذهب إلى النوم لتنامي أنت بدورك.

استلقت أنجيلا دون نوم، غير قادرة على محو إحساس فارغ بالقلق. توقعت من أفكارها أن تكون مليئة بدان، في هذه الليلة التي تسبق عودته.. لكن بيرنيس اقتحمت واجهة تفكيرها، ولحقت بها إلى أحلام مضطربة حين نامت أخيراً... هناك إحساس ينذر بشرّ، ودائماً له علاقة ببيرنيس وكأن خطراً ما يقترب. فكرة اقتراب الخطر كانت واضحة لدرجة أن آخر ما شاهدته أيقظها، مع إحساس مزعج بأن شخصاً كان في الغرفة خرج لتوه.

حين استيقظت مرة أخرى كانت أشعة شمس أيلول تتدفق إلى

الغرفة، فبقيت مستلقية لدقائق، وتفكيرها مغلق بشكل مرضي عن أي شيء ما عدا جمال الشمس وإحساسها بالسعادة والصحة.

سرعان ما تسمرت عيناها على شيء موضوع على طاولة الزينة.. إنها رسالة.. والرسالة لم تكن موجودة ليلة أمس.. هكذا كان على تعقل الصباح أن يعترف قليلاً بمصداقية أحلام ضوء القمر.. لقد دخل أحدهم إذن إلى الغرفة وهي نائمة، ووضع الرسالة على الطاولة.

قفزت أنجيلا فجأة عن السرير، وقد عادت إليها هواجس الليل الفائت. ووقفت في أشعة الشمس لتمزّق المغلف وتخرج الرسالة وتقرأ:

«عزيزتي أنجيلا

لن أستطيع الزواج بدانيال.. وسأهرب مع بارني.. حين تقرأين هذه الرسالة، سأكون في طريقي إلى نيويورك حيث سأتزوجه.. أعلم أن هذا ليس بالأمر الصواب ولا الطريقة الحسنة لفسخ خطبتي. وأنا آسفة جداً لجرح مشاعر دان هكذا. لكن الأمر سيكون أكثر سوءاً لو استمريت في الزواج فسنصبح جميعاً تعساء.

أريدك أن تقومي بعمل صعب لي أنجيلا.. وأنا أعترف أنني جبانة ولن أتمكن من عمله بنفسي، فأنا لن أستطيع مواجهة كل التأنيب والصراخ الذي سيواجهني. أرجوك اشرحي الأمر لوالدتي ووالدي، قولي لهما إنني سأكون بالفعل سعيدة مع بارني.. وسأتصل بهما حال تسوية كل الأمور.. وهل ستقولين لدان نيابة عني؟ سيتلقى الأمر أفضل من غريبة، صحيح أنكما لستما غرباء، لكنكما لستما شيئاً بالنسبة لبعضكما، بينما ينظر إلى أمي كقريبة.

أنا آسفة جداً لكل هذا.. حبي لك.. ويجب أن تزورينا بعد انتهاء كل شيء... بيرنيس»

جلست أنجيلا ببطء على حافة سريرها، تشد على طرف الرسالة في يدها. الإحساس الأكثر أهمية الآن في عقلها المصدوم هو كيف أنها لم تلاحظ ما يجري.

لماذا لم تلاحظ أن غياب بيرنيس المتكرر وجو الاستغراق في التفكير الذي كان حولها لا يمكن أن يفسر سوى بأنها تفكر برجل آخر؟

لقد أخبرتها بنفسها عن وجود بارني، ألا تكون بهذا مشاركة في هذا الموقف الخطير خاصة بعد رفضها فكرة بيرنيس للقاء بارني في جو أكثر أمناً، هنا في المنزل؟ وفي سعي بيرنيس لترتيب لقاءهما في مكان آخر؟ لكن كيف لها أن تعرف أن هذا سيحدث؟

فجأة، أدركت، بكل قوة الصدمة المتأخرة قليلاً، كم أن هذا العمل الخطير لابنة خالتها قد يؤثر على همومها.

دان لن يتزوج في الغد... والإدراك الثاني، يكفي لأن يوقف أي تسرّع بالسعادة قد تحس به.. فدان سيتلقى ضربة موجعة قد تدفعه إلى النظر بكراهية، وحتى باشمئزاز، إلى أي شخص له علاقة بما حصل وبالطبع، سيحس بشكل خاص أنه لا يريد أن يرى أو يتحدث بعد الآن إلى الشخص الذي سيوصل إليه الخبر، ويشهد حزنه وإذلاله.

لا.. لن أستطيع إخباره.. وعلى خالتي أن تفعل.. سأقول لها أولاً، وهي ستتصرف.. أنا آسفة فالمهمة صعبة.. ولن أستطيع القيام بها، ثم لماذا أفعل؟ هذا ليس عدلاً.. لماذا أدفع دان بنفسي لكرهي.

لم تدرك أنجيلا أنها استفاقت باكراً، إلا بعد أن ارتدت ملابسها ونزلت إلى الطابق الأرضي، كل شيء كان ساكناً، فأحست أن الأمر يدعو إلى التوتر، ففتحت الباب وخرجت إلى الحديقة، تفكر كيف ستبلغ الأمر إلى خالتها.

فجأة اعتراها ذعر.. لربما ذهبت خالتها إلى غرفة بيرنيس لسبب ما، واكتشفت آثار هروبها قبل أن تتحضر له... استدارت من فورها لتعود أدراجها علّها تستطيع تفادي ما قد يحصل.

وما أن همّت بالدخول، حتى فتح الباب الموصل إلى الحديقة بقوة، ودخل دان منه، ثم سار عبر ممر الحديقة نحوها.

***

٢ ـ هذه زوجتي

كانت أنجيلا تحس بالخجل فيما بعد كلّما تذكرت أنها فكرت بالهرب في لحظة خوف من مواجهة دان. لكن عقلها الواعي حينها استعاد السيطرة عليها.. وعلمت أنها لا تستطيع فعل شيء غبي كهذا.. فقرّرت مواجهة دان بالحقيقة مهما كانت مرّة.

وقفت أنجيلا حيث هي، وتذكرت أنها ليست الوحيدة التي تعاني من المشاكل.

ـ أوه.. دان.. هل الأخبار سيئة؟

ـ ليست جيدة، أين بيرنيس؟

ودون انتظار ردها، أحست أنجيلا بالسرور حين أكمل:

ـ لم تستفق بعد.؟ أنا سعيد لهذا أنجيلا، أريد التحدث معك أولاً، فأنت عملية جداً ومتفهمة.

ـ تعال لنجلس هناك وأخبرني بكل شيء.

قادته إلى مقعد خشبي عريض في الحديقة عند آخر الممر، وجلس إلى جانبها. كان يبدو عليه الشحوب، وكأنه لم ينم كثيراً. مع ذلك لم تستطع سوى أن تفكر بأنه الرجل الأكثر جاذبية الذي عرفته في حياتها.. ثم وبعد لحظات سادها الصمت، قطعتها أنجيلا بالقول:

ـ الأمر حول صحة والدتك بالطبع.

مال إلى الأمام ومرفقاه على ركبتيه ويداه متشابكتان:

ـ أجل. أظنني قلت لك انها ستجري عملية، وفرصة نجاحها ضئيلة.

لكن حالتها لا تسمح بالتردد في إجراء العملية وهي تريد رؤية بيرنيس أولاً...

- أوه!

- حسناً، فهي لم ترها من قبل.

- لم ترها من قبل؟

هز رأسه نفياً وتابع:

- خطبتنا كانت قصيرة، ولم تتح الفرصة للقاء بين بيرنيس وأمي. لكن.. الآن الأمر ضروري... فوالدتي متشوقة لرؤية خطيبتي، زوجة المستقبل، وهي تعلم مثلنا أنها قد تكون أول وآخر مرة.

صاحت أنجيلا بعفوية:

- أوه.. دان!

أحست أنجيلا بالأسى يغمرها لوضع دان المحرج، لكنها كانت تعلم أن ما ستقوله له سيزيد الوضع سوءاً.. وتابع دان كلامه:

- يجب أن أشرح الوضع لبيرنيس، وأريد منك مساعدتي.. وإذا كان ممكناً، أفضل أن لا تعرف التفاصيل، ولكن آمل أن تتفهم خطورة الموقف لدرجة اضطرارنا إلى تأجيل شهر العسل.. فبعد العرس غداً بدل السفر إلى نيويورك ثم إلى ميامي كما هو مقرر، يجب أن نبقى في نيويورك قليلاً.. أتظنين أنجيلا أنه يجب شرح كل شيء لبرنيس الآن أم نؤجل ذلك إلى ما بعد الزفاف؟ كي يتم الزفاف دون ما يكدّره.

رفع رأسه نحو أنجيلا متسائلاً. إنه يسألها رأيها لا نصيحتها، ولكن هل سيتجاهل ما ستقوله إذا وجده غير مناسب؟ فهي باتت تدرك أن دان هو رجل يتخذ قراراته بنفسه ويتحمل نتائجها. ثم جمعت شجاعتها وبدأت بالكلام:

- اسمع دان.. ما تقوله جزء بسيط من مشكلة أكبر بكثير برزت خلال غيابك.. كنت محتارة كيف سأخبرك بها، لكنني الآن أرى أن الطريقة الوحيدة هي الصراحة قدر الإمكان، وأؤكد لك أنني على

استعداد لتقديم أي مساعدة تطلبها مني...

صمتت أنجيلا لحظات راحت خلالها تفتش في ذهنها عن الكلمات المناسبة، لتعرّف دان حقيقة ما جرى مع بيرنيس. ونظر إليها دون ارتباك، فهو رجل لا يخاف أي شيء مسبقاً، لكنها استطاعت أن تجذب اهتمامه عن مشكلة. وأكملت:

- أخشى أن يكون هذا صدمة سيئة لك... لقد غيّرت بيرنيس رأيها بالنسبة للزواج منك غداً...

فغر دان فمه متعجباً:

- بيرنيس.. ماذا فعلت؟ لكن يا للسماء أليس من واجبها أن تقول هذا لي بنفسها؟

- هذا مستحيل دان.. إنها ليست هنا.

- ليست هنا؟ ماذا تعنين بحق السماء؟

- ما سمعته دان.. لقد.. هربت بيرنيس. أعتقد أن هذا هو الوصف الوحيد لما حدث.

- لكنني لا أفهم.. هل أصابتها نوبة عصبية، أم أغضبها غيابي قبل الزواج مباشرة؟ أم ماذا؟ بالله عليك أوضحي لي ماذا حصل؟

- آسفة دان. الأمر أكبر من هذا بكثير... لقد قرّرت بيرنيس أنها تريد رجلاً آخر.

لم يتفوه دان لحظتها بكلمة، ولم يكرر ما قالته أنجيلا فقد كان الخبر صدمة لم يستطع تصديقها بسهولة، إلا أنه بقي جالساً بهدوء إلى جانب أنجيلا التي أدركت أنه غاضب لهذا الخبر، إلا أنه لن يتصرف بغباء أو بعصبية.

ثم سألها بهدوء بعد فترة صمت:

- متى عرفت هذا؟

- هذا الصباح.. ولكن الآخرين لم يعلموا بعد بالخبر.

ثم روت له التفاصيل كلها براحة، بعد أن أخبرته الشق الأهم من

الحقيقة الصادمة.. وخلصت إلى القول:

- لقد تركت لي... رسالة.

- تركت لك رسالة؟ ألم تترك لي شيئاً؟

- لا.. لقد طلبت مني أن أخبرك بما فعلت.

نظر إليها، فظنت أنها رأت في وجهه الكراهية التي خشيت أن يربطها بها كجالبة لسوء الحظ. فقالت وفي نفسها ألم ومرارة:

- دان! لم.. أحب هذه المهمة مطلقاً.

فرد بهدوء:

- لا.. بالطبع لا.. ماذا قالت لي بيرنيس في رسالتها؟

- اعتذرت عن كل الأذى والمشاكل التي تسببت بها.

فابتسم دان بسخرية.. لكن أنجيلا تابعت بسرعة:

- كانت حقاً آسفة، وأنا أكيدة من هذا، لكنها قالت إنها اكتشفت حبها لبارني...

- ومن هو بارني بحق الله؟

أوه.. تذكرت أنجيلا أن دان لا يعرف أو يعلم شيئاً عن بارني فحاولت أن تشرح له أنها هي أيضاً لا تعرفه إلاّ أنها سمعت عنه، لكنها لم تقابله، إلا أن دان قاطعها:

- دعك منه.. تابعي حديثك.

- قالت إنها تعرف أنها مخطئة، ومن الأفضل الاعتراف بالخطأ الآن قبل الزواج.. كي لا تتحول حياتكما إلى بؤس... وهذا أمر صحيح كما أعتقد.. بوجه عام.

- حسناً. لن أقول شيئاً الآن، فأنا أجد صعوبة في التفكير أو الكلام.. لقد قلت إن الآخرين لم يعلموا بالأمر بعد؟

- أجل.. أوه.. يجب أن أذهب لأخبر خالتي رامونا!

قفزت أنجيلا بسرعة لتذكرها واجباتها الأخرى وهي تقول:

- لا أريد أن تكتشف خالتي الأمر دون تحضير.

لكن دان مدّ ذراعه وجذبها إلى الأسفل بحدة لتجلس ثانية إلى جانبه:

- انتظري! خالتك لا تهمني الآن.

- لكنها والدة بيرنيس!

- أنا لا أفكر بوالدة بيرنيس، بل أفكر بوالدتي. فتحسن صحتها يعتمد على سعادتها وهدوء بالها في الأيام التالية.. وإذا كانت ستموت.. فلن أسمح بأن تكون ساعاتها الأخيرة ملبّدة بغيوم القلق والتعاسة لأجلي.. كما وأن فرصة نجاح العملية ستنخفض إلى النصف لو تلقت صدمة كهذه.. لقد وعدتها بأن آخذ زوجتي لتراها مساء الغد، وسأفعل هذا. أين يمكن أن أجد بيرنيس؟ يجب أن تلعب الدور، حتى ولو كنت لن أعود لرؤيتها بعد ذلك.

شهقت أنجيلا:

- لست أدري أين هي.

- ألم تقل شيئاً في رسالتها؟

- لم تقل سوى أنها في طريقها إلى نيويورك مع بارني.

- مااسم هذا الرجل بالكامل؟

- لست أدري.

- إذن نسأل خالتك، لا بد وأنها تعرفه.

- لا أظن..

- يا إلهي! أيمكن أن يكون هذا الرجل غريباً عنكم كلكم؟ ألا يعرف أحد أي شيء عنه؟

- ليس الكثير.. وفي أية حال دان، حتى ولو لاحقتها، فلا أظن أن بيرنيس ستوافق معك على ما تريد.

- حتى لو شرحت لها خطورة الموقف؟

ساد الصمت بينهما ونظرا إلى بعضهما بقلق وارتباك وتفهم مشترك. فهناك أشياء لا يمكن شرحها لبيرنيس إذا كانت لا توافق

رغباتها، وهي تتطلب قدراً محدداً من المخيلة والتفكير.

ثم تلبد وجه دان وهو يتقبل الحقيقة المرّة والتي لا تدحض.

ـ لا.. أنت محقة.. لن توافق بيرنيس.

ثم مال إلى الأمام مجدداً ليدفن وجهه بين يديه، وكأنه يفكر بقوة بحل آخر... بينما أخذت أنجيلا تتأمل شعره الأسود المشعث قليلاً لمرور أصابعه فيه، وتاقت لأن يكون لها الحق في لمسه، وتمنت لو أنها تملك حلاً لمشكلة أمه، لقدمته له على الفور.

أحست أنجيلا في تلك اللحظات بحبها الشديد لدان وراحت تقنع نفسها أنه لا بد من التفكير بشيء لمساعدته.. ويجب أن تفعل. فهذا هو معنى الحب: الفرح حين يكون كل شيء على ما يرام، والمساعدة حين تسوء الأمور.. أليس كذلك؟ إنها تؤمن أن الحب هو أن تفرح مع من تحب وتحزن معه وتقف بجانبه عندما يحتاج لمساعدة.

لكن دان هو من خرج بالحل. نظر إليها، متفحصاً بدقة مجردة جعلتهاتحس فجأة بقلة الراحة.. ثم قال بهدوء:

ـ بيرنيس لم تقابل أمي من قبل.

فأجابت بالهدوء نفسه:

ـ إذن ليس من الضروري أن تكون بيرنيس هي التي ستقابلها، أليس كذلك؟

ـ لا.. ستكونين في مكانها.

ـ أنا؟ لكن هذا مستحيل! ألا يمكنك...

ـ ليس مستحيلاً، بل إنه بسيط.. فلو ماتت، لن تعرف شيئاً، وإذا عاشت سأشرح لها الأمر فيما بعد، حين تستعيد صحتها ونشاطها.

حاولت أنجيلا وهي تجيب أن لا تفكر بمضامين أخرى:

ـ نعـ.. نعم.. إذا كنت تظن أن هذه هي الطريقة المثلى لتفادي الإحراج مع والدتك فلا مانع لديّ.

أمسك دان بيدها وضغط عليها.. وقال:

ـ إنها الطريقة الوحيدة.

ـ من الأفضل أن ندخل الآن ونخبر خالتي.

ـ أتعنين حول بيرنيس؟

ـ وحول كل شيء أيضاً.

فقاطعها بسرعة:

ـ لا.. ليس حول القرار الأخير. فمن الأفضل عدم معرفة أحد بهذا القرار، فلا أريد أن تكتشف لعبتنا.

ـ أوه.. لكن...

تجاهل اعتراضها وتابع يخطط بصوت مرتفع:

ـ سأعود اليوم أو في الغد.. ويجب أن تخترعي سبباً للرحيل. ستتقابل في مكان ما.. أو حتى يمكن أن نسافر معاً.. أجل، هذا أفضل! فمن الطبيعي أن أعرض عليك توصيلك إلى نيويورك معي.

ـ لكنني لم أكن أنوي السفر قبل أسبوع. خالتي رامونا معتمدة عليّ في تنظيف وترتيب المنزل بعد حفل الزفاف.

ـ لن يكون هناك حفل زفاف أليس كذلك؟ وبالتالي لن يكون هناك الكثير للترتيب.

أرادت أن تفسر له أن هناك الكثير لترتيبه بعد إلغاء الزفاف أكثر مما لو تمّ فعلاً. لكنها قاومت اندفاعها، وأقنعت نفسها أنه لا بد من تدبير الأمر بطريقة ما، فهو يحتاجها أكثر مما تحتاجها الخالة رامونا، ولن تتخلى عنه إذا كان يحتاجها. وقالت بصوت منخفض:

ـ حسناً. سأفكر بعذر مقنع.

ـ دون أن تشرحي لخالتك ما تنوين.

ـ إذا كنت تريد هذا. لكنني أرى...

ـ لا فائدة من معرفة الآخرين بالأمر. يجب أن يبقى الأمر بيني وبينك فقط. ولا حاجة لأن يعرف أحد من معارفنا، من جهتي سأقدمك لأمي وأختي والطبيب كزوجتي. وهذا سيحول دون إفشال التمثيلية

بفشل أحدنا في دوره.

تمتمت أنجيلا باستسلام لمنطقه:

ـ لا بأس إذن.

لكنها راحت تمعن التفكير بما قاله دان بأن الأمر بينها وبينه فقط.. ففكرة مشاركتها ودان سراً واحداً تغلّبت على كل تردد أو حذر في نفسها.

وها هما بعد هذا اللقاء المطوّل بينهما والذي أتى دون أي تخطيط، يدخلان المنزل لإتمام المهمة المزعجة، أي شرح ما جرى للعائلة حول هروب بيرنيس.

كان الأمر مؤلماً ومكدراً بالنسبة لأنجيلا، على الرغم من مساعدة كبيرة لها من دان.. أكثر مما كانت تتوقع. وعلت الدهشة الوجوه وأخذ زوج خالتها والد بيرنيس يردد:

ـ لا أفهم بيرنيس! فنحن لا نعرف الرجل.

بينما انهارت الخالة رامونا، التي نادراً ما تبكي، وراحت تذرف الدموع وتقول إن بيرنيس لا بد قد جنّت.

لكن أنجيلا تعرف تماماً أن ابنة خالتها لم تجن. إنها فقط تلك الفتاة الوحيدة المدلّلة غير المسؤولة إلى أبعد مدى، وإذا ما سببت الألم والتعاسة للآخرين، فتكتفي بالأسف، وهذا كل شيء، لكنها لن تعود قبل أن تنتهي الضجة التي افتعلتها. وقطع تشارلي الصمت المؤلم الذي ساد الموقف بالقول:

ـ لا بد أن بيرنيس كانت تراسل ذلك الرجل... فهو لم يأتِ إلى هنا مؤخراً.. أو أنه جاء ولم نعرف بأمره.

اضطرت أنجيلا للرد:

ـ لا.. هذا ليس صحيحاً تماماً.. فهذا الرجل كان هنا، وأنا أعلم ذلك.

فصاحت خالتها متعجبة:

ـ تعرفين يا أنجيلا؟

وراحت تنظر إلى ابنة أختها باستهجان وكأنها أخفت سرّاً خطيراً... فاستدار دان، الذي كان يقف عند النافذة ينظر إلى الخارج وسأل أنجيلا باقتضاب:

ـ وكيف عرفت؟

ـ أخبرتني بيرنيس ذلك بنفسها، بعد ظهر يوم سفرك.

فصاحت خالتها مؤنبة:

ـ ولماذا لم تخبرينا يا ابنتي؟

ـ ولماذا أخبركم؟

رددت الخالة كلامها بانزعاج:

ـ لماذا تخبرينا؟ كي نتمكن من إيقافها عن التهور وتسبيب الألم للجميع.

ـ الأمر ليس بهذه السهولة يا خالتي.

ـ حسناً.. فأنا وزوج خالتك الوحيدان القادران على هذا.. بما أن دان كان غائباً.

حين رأى تشارلي أنجيلا في موقف محرج تدخل مسالماً:

ـ لا فائدة من لوم أنجيلا أمي. فحين علمت بوجوده لم يكن هناك أي وضع شاذ. ولم يكن من شأنها أن تركض لتقول لك أشياء عن أصدقاء بيرنيس!

فقال والد بيرنيس مكتئباً:

ـ إنه ليس صديقاً.. فنحن لا نعرفه، ولا أعتقد أننا سمعنا عنه شيئاً من بيرنيس.

تدخل دان بصوت بارد يخلو من الانفعال على عكس لهجات الآخرين:

ـ على أية حال، لقد حصل الأذى.. ومن المؤسف أن أنجيلا لم تلحظ العواقب، خاصة وأن بيرنيس كانت تثق بها. لكن لا فائدة من

إثارة هذا الآن.

وردّت أنجيلا بحزم:

ـ لم أكن موضع ثقتها مطلقاً.

لكن دان لم يهتم لما قالت، بل استدار عنها دون اهتمام، مما أشعرها بالألم والضيق. ولكي تسيطر على إحساسها هذا بالضيق أجبرت نفسها على أن تشرح لخالتها عن اضطرارها للسفر في الغد، فبدا على الخالة المسكينة الأسى:

ـ أوه... أنجيلا.. لماذا؟

ـ وصلني خطاب هذا الصباح.. إنهم بحاجة إليّ في المكتب حيث أعمل، فهناك الكثير من العمل المتأخر بانتظاري... ولهذا يريدون عودتي في أسرع وقت.

ـ كنت أعتمد عليك في ترتيب الأمور هنا.

ـ سأقوم بما أستطيع اليوم. ويجب أن نفعل هذا اليوم على أي حال.

ـ أجل.. أجل.. بالطبع.. لا أستطيع تصور ما سيقوله خالك الكبير جورج.

ـ لن يكون هنا.. سأبرق له لأعلمه بالأمر.

ـ أجل.. لكن لن نستطيع قول كل شيء في رسالة.. لطالما كان ساخطاً على بيرنيس ويقول إننا أفسدناها من كثرة التدليل.

هزت أنجيلا رأسها بصمت موافقة على رأي الخال جورج في مسألة فساد بيرنيس،.. في تلك اللحظة قال دان:

ـ بإمكاني توصيلك إذا كنت مسافرة في الغد أنجيلا، فأنا مسافر بدوري بعد الظهر.

فقالت الخالة رامونا:

ـ أوه.. لكن أتظن هذا لائقاً؟

ـ لائقاً؟ ولماذا لا؟

ـ حسناً.. ألا ترى..

ومسحت الخالة دموعها بالمنديل ثانية وأكملت:

ـ كنت ستسافر في سيارتك مع بيرنيس.. والآن تسافر مع ابنة خالتها بدلاً منها.. سيبدو هذا وكأن أنجيلا هي البديل.

فقال دان بحزم:

ـ لا أرى سبباً لوصول مخيلة أحد حتى هذا الحد.

ـ أنت لا تعرف دان كيف يتكلم الناس في بلدة صغيرة كهذه.

تدخل زوجها مدافعاً:

ـ إنهم ليسوا أكثر فضولاً من سكان أي مكان آخر.

ولكن الخالة أصرت على موقفها:

ـ ربما.. لكن الناس يزداد فضولهم حين يفسد العرس.

فقالت أنجيلا حاسمة الأمر:

ـ حسناً. الأفضل أن أسافر بالقطار.

قال دان يظهر عدم الاكتراث:

ـ حسن جداً.

فيما بعد انتحى بها جانباً وقال:

ـ سأنتظرك في المحطة التالية للقطار ونتابع طريقنا سوياً، فالأمر بسيط أنجيلا. لا تهتمي.

ـ أتظن هذا حكيماً؟ أعني أن المحطة التالية لا تبعد كثيراً عن هنا.

رد عليها بابتسامة ونفاذ صبر:

ـ يا فتاتي العزيزة، نحن لسنا متشاركان في أي ذنب أليس كذلك؟

احمرّ وجهها وقالت موافقة:

ـ أجل.. هذا صحيح. سأركب قطار الثالثة والنصف، وألقاك في المحطة التالية.

خلال ما تبقى من هذا اليوم المشحون، أحست أنجيلا أنها تعيش في عالم غير حقيقي.. ولم يكن هذا فقط بسبب السخط والارتباك في

إلغاء كل ما فعلته وخالتها رامونا في الأسبوع المنصرم.. إلغاء الترتيبات، إلغاء الدعوات، إلغاء الطلبات، إبلاغ مقدمي الطعام، والزهور والمصور... بل زاد على كل ذلك إدراكها المخيف والساحر في آن، أنها في الغد ستكمل المشوار، وإن كان على أساس مؤقت، كزوجة لدان. دون أن تدري ما يخبىء لها القدر في مثل هذه اللعبة.

ومع حلول آخر الليل وموعد النوم، كانت أنجيلا مرهقة تماماً، حتى أنها لم تأخذ قسطاً من الراحة لتفكر بالغد... فغطت في نوم عميق.

استيقظت أنجيلا في الصباح حيث كان من المفترض أن يكون هذا اليوم هو يوم زفاف بيرنيس ونظرت حولها وطاف بها الخيال بعيداً، فتراءى لها أن هذا اليوم هو يوم زفافها... ثم عادت إلى واقعها وهي غير مصدقة أنها ورغم كل شيء ستكون لفترة ولو بالاسم زوجة دان.

ولكن فجأة أحست أن الفكرة مخيفة وخطيرة أكثر مما تصورت ليس بسبب أية مخاطرة قد تحصل لها أو تعقيدات، أو حتى فضيحة.. بل لأنها أدركت بوضوح مؤلم، أن هذه المغامرة لن تربطها بدان.

فهذه المغامرة بالنسبة لدان ليست سوى ذريعة ملائمة، وربما يائسة أملتها عليه الضرورة من أجل أمه. أما بالنسبة لأنجيلا، فالتفسير مختلف، فهذه المغامرة ستكون اختباراً عاطفياً خطيراً، قد يحوّل أحلامها المجنونة والحزينة إلى حقيقة ملوّنة قد لا يكون لها خلاص منها فيما بعد. ولن تجني منها إلا الألم والدموع.

بالرغم من وعيها لكل الأخطار، لم تتردد.. بل أخذت تقنع نفسها عدة مرات أن عليها المضي بالأمر ولكن بحذر شديد.

وما أن حان وقت الرحيل حتى بدت الخالة رامونا وقد استعادت الكثير من توازنها وقدرتها على السيطرة على نفسها.. وأبدت الأسف الحقيقي لرحيل ابنة أختها. مع أنها اقتنعت أن السبب الأساسي لوجود أنجيلا معها قد انتفى، رغم أن الخالة قد تحملت الصدمة بمساعدة

أنجيلا، إلا أنها لم تكن من النوع الذي يحتاج إلى دعم دائم من أي شخص آخر.

ـ أنا حقاً آسفة لهذه النهاية السيئة أنجيلا... لكن بالطبع لم يصدمك الأمر كما صدمنا... وأرجو أن تنظري إلى كل هذا كعطلة جيدة على أيّ حال.

ـ كانت عطلة رائعة في أكثر من وجه خالتي رامونا... لكنني آسفة لأنني لن أستطيع البقاء ومساعدتك أكثر... فالأمر غير ممكن، وأخاف أن أخسر وظيفتي.

ـ لا.. لا.. بالطبع لا، الوظيفة تأتي بالدرجة الأولى.

وبشكل مميز، اهتمت الخالة رامونا بأن تؤمن لابنة أختها غداءاً ممتازاً قبل أن توصلها مع تشارلي إلى المحطة، حيث تودعتا بعاطفة حقيقية. أما دان، فقد قام بالوداع في وقت مبكر، حيث كان الأمر محزناً ومحرجاً في آن.

أعطى تشارلي الحقيبة لأنجيلا عندما صعدت إلى القطار قائلاً لها:

ـ لا تنسي أن تغيري القطار إلى القطار المتجه إلى نيويورك في المحطة التالية... ولن تضطري إلى الانتظار طويلاً فقطار نيويورك يصل إلى المحطة في نفس الوقت.. وسيكون التغيير بسيطاً.. ولولا هذا لأوصلتك بنفسي.

ـ أوه.. لا بأس بهذا إطلاقاً. أستطيع تدبير الأمر، لا تقلق، وشكراً لك تشارلي.

ودوّت صفّارة القطار، فلوحت أنجيلا بيدها مودّعة، وخرج القطار ببطء من محطة يونيكا باتجاه محطة «ألبيني».

خلال الرحلة إلى «ألبيني» استرخت وراحت تفكر بكيفية لقائها بدان... هل ستنتظره في المحطة، أم تخرج لتبحث عنه؟ إذ لم يكن أمامها فرصة لترتيب مثل هذه الأمور التفصيلية.

ولكن دان كان ينتظرها على رصيف المحطة، حين رآها رمقها

بنظرة رضى اخترقت قلبها، ثم أخذ منها الحقيبة قائلاً:

ـ سيارتي تنتظر في الخارج.

وأحست أنجيلا بالسعادة وهي تسير إلى جانب دان على رصيف المحطة حتى أنها بالكاد لاحظت شخصاً يناديها:

ـ مرحباً أنجيلا.. هل ستتركيننا؟

التفتت بسرعة لترى أمامها عازفة الأورغ في كنيسة يونيكا، الآنسة كاربنتر، تنظر إليها باهتمام.

حسب الترتيبات الأصلية لعرس بيرنيس، كان من المفترض أن تعزف الآنسة كاربنتر على الأرغن خلال مسيرة بيرنيس وأنجيلا في الممر نحو المذبح، تقريباً في مثل هذا الوقت.. وكانت دهشة الآنسة كاربنتر كبيرة حيث اتسعت عيناها وهي ترى مرافق أنجيلا! لكنهما كانا قد تجاوزا الآنسة كاربنتر ولم يعد بوسع أنجيلا سوى الإيماء برأسها تحية لها، وهي تتمنى أن لا يكون للآنسة كاربنتر نزعة للارتياب والتساؤل وإطلاق الأقاويل في البلدة.

أما دان فلم يلاحظ ما جرى.. فبعد لقائه بأنجيلا، بدا تركيز اهتمامه على إكمال رحلتهما في أقصر وقت ممكن. وبعد صمت طويل ساد بينهما، بادرت أنجيلا بالسؤال عن طول المسافة.

فأجابها دان دون أن ينظر إليها:

ـ حوالى الساعتين بعد.. والرحلة تستغرق أكثر بالقطار.

راحت تتصور أن أياماً قاتمة تنتظرها وهي تقوم بدور زوجة دان مكان ابنة خالتها بيرنيس مما عكس توتراً في صوتها وهي تسأل دان:

ـ من الأفضل أن تخبرني قليلاً عن عائلتك دان.. بقدر ما على زو... على بيرنيس أن تعرف.

ـ طبعاً... هناك أمي فقط وأختي ستيلا نحسب حسابهما.. والدي مات منذ خمس سنوات... ولا شك أنك لاحظتِ أن والدتي تعني لي الكثير. أما أنا وشقيقتي فنحن غير متفقين كثيراً حول مختلف الأمور.

ـ فهمت.. وهل هما موافقتان عليّ.. أقصد على بيرنيس، كزوجة لك؟

ـ موافقتان؟ أوه.. أجل. على الأقل والدتي، فهي توافق على أي شيء يسعدني. وليس من الضرورة موافقة ستيلا أو عدمها على ما أقوم بفعله.

ـ لا.. بالطبع لا.

ثم ساد الصمت بينهما من جديد، وتابعا السير عبر شمس بعد الظهر، والظلال المستطيلة. وكان الوقت متأخراً أكثر مما توقعاه حين وصلا إلى المنزل الكبير، حيث يعيش دان مع والدته وأخته، والواقع في ريفرسايد على نهر الهدسون.

وبكل جهد، ركزت أنجيلا على أساسيات الموقف، أما التفاصيل الصغيرة فلم تأخذ حيزاً كبيراً من تفكيرها. وهي تخرج من السيارة، متصلبة الجسد من تعب الرحلة وطريقها الطويل، أخذت فقط انطباعاً عاماً عن المنزل وما يحيط به، أما دان فسبقها إلى باب المنزل حيث فتح الباب ووقف ينتظر أنجيلا التي أحست أنها خطت الخطوة الأولى نحو مسرح جديد عليها إجادة التمثيل بشكل جيد على خشبته، أمام جمهور لم تره أو تتعرف عليه من قبل... وزاد خفقان قلبها بينما كانت تتراءى أمام مخيلتها صور كثيرة تداخلت مع بعضها، ولم تنتبه من تزاحم أفكارها إلاّ ويد دان على خصرها يجذبها نحو الداخل وهو يقول:

ـ مرحباً ستيلا... هذه زوجتي.

* * *

٣ ـ كذب الحبيب

ردّت ستيلا شقيقة دان:

ـ أهلاً بكما ادخلا.. لا بد أن الرحلة أتعبتكما.

ثم أمسكت ستيلا بيديّ أنجيلا وطبعت قبلة حنونة على خدها، مما فاجأ أنجيلا خاصة بعد ما قاله دان عن عدم اتفاقه مع شقيقته حيث كانت أنجيلا تتوقع مقابلة مختلفة... باردة وجافة. مقابلة ممكن أن تحمل في طياتها نوع من العداء منذ البداية.

لكن لم يظهر شيء من هذا في تصرفات ستيلا، حيث بدا صوتها دافئاً وودوداً. فأبقت أنجيلا يدها ممسكة بيد ستيلا التي قادتها إلى غرفة طويلة جميلة لها نوافذ على جانبيها.. ولاحظت عينا أنجيلا على النور الداخلي الخافت أن ستيلا كأخيها، طويلة سمراء، وهنا ينتهي التشابه. فبينما كانت شخصية دان قوية مسيطرة على كل ما من حوله بدت ستيلا رقيقة مستسلمة.

لا بد أن ستيلا أيضاً سمحت لنفسها في هذه الأثناء بتفحص أنجيلا عن قرب، فقالت لها:

ـ لستِ أبداً كما كنت أتوقع... كنت أظنكِ سوداء الشعر، وأظن أن دان قال هذا.

أحست أنجيلا أن هذا بداية مزعجة لعملها، لكنها عالجت الأمر بحنكة فقالت:

ـ يبدو أن الرجال لا يفرقون بين الشعر الأشقر والشعر البني، أليس

كذلك؟ أظن أن دان وصفني ببنية الشعر... ربما بالإمكان دعوتي بالشقراء القاتمة.

ثم التفتت إلى دان تناديه:

ـ حبيبي!

لم يبدو على دان الدهشة لمبادرتها، بل سارع ليلحق بالمبادرة ببرودة حسدته عليها. لا بد أن إرباكه يستلزم الكثير... فنظر إليها نظرة محبة قائلاً:

ـ لا أذكر أنني وصفتك لأحد، فلا أظنني قادر على وصفك بشكل عادل.

ـ هذا تملص لطيف ولبق.

وتظاهرت أنجيلا بسعادة العروس الجديدة، ثم عادت إلى الالتفات نحو ستيلا، لتسألها باهتمام حقيقي:

ـ كيف حال الوالدة؟

ـ كما تركها دان تماماً... وهي تتشوق لرؤيتك.. أتودين الصعود لرؤيتها الآن؟

ـ أجل.. بكل سرور.

كانت أنجيلا صادقة في نيتها، فأتى صوتها حازماً وواثقاً، فهي قد أدركت في تلك اللحظة، أنها فعلاً تريد رؤية والدة دان. ليس لأنها تود الخلاص من صعوبة الموقف، بل لأنها أحست بالفعل بالشوق للقاء والدة الرجل الذي تحبه. وصعد الثلاثة إلى الطابق العلوي.. وما إن وصلوا أعلى السلم حتى سمعوا صوت الأم:

ـ أهذا هو دان وبيرنيس؟

أحست أنجيلا بغرابة لأن تنادى باسمها الجديد لأول مرة.. لكنها أجابت بنفسها:

ـ أجل.. هل لنا أن ندخل؟

وكانت أنجيلا أول من دخل الغرفة، قبل دان وستيلا، كما ستذكر

دائماً فيما بعد، وتوجهت إلى المرأة الفاتنة البراقة العينين المستلقية في فراشها.

نظرت السيدة سايرز إليها بفضول ودود فيه شيء من الطفولية:

ـ ابنتي العزيزة! كم أنا سعيدة بلقائك!

مرة أخرى، ودون تردد، وكأن الدور لها بالفعل، انحنت أنجيلا تقبلها.. فابتسمت لها العجوز ثم أدارت رأسها نحو دان الذي انحنى بدوره يقبلها ويطمئن على صحتها، ثم قالت:

ـ أوه دان.. كم هي جميلة زوجتك.. تعالي واجلسي هنا إلى جانبي حيث أراك..

ابتسمت أنجيلا وأطاعت كلام حماتها، فقالت ستيلا:

ـ كنت أقول لها إنها لا تشبه الصورة التي رسمناها لها.

فتمتمت الوالدة:

ـ صحيح.. ليست كما كنت أتوقع.

تابعت ستيلا بإصرار:

ـ أحسستُ أنني واثقة أنها سوداء الشعر ومرحة.

ردت والدتها، تصرف النظر عن التفاصيل غير المهمة:

ـ لم أفكر بهذا..

ثم التفتت إلى أنجيلا وقالت لها:

ـ لكنني لم أتوقع أن تكوني منفتحة هكذا عزيزتي. بعض الناس ممكن أن يكونوا فاتنين ومريحين وغير رسميين، لكن بطريقة ما لا تألفينهم. أو ربما، لا تجدين فيهم شيء مميّز يلفت نظرك فتطمئني إليهم.

قال دان وهو يجلس على الطرف المقابل من السرير يبتسم لأمه وأساريره مسترخية:

ـ لا تكوني قاسية يا أمي.

ـ لست قاسية! وسترى بعد أن أجري هذه العملية اللعينة أنني

سأعود نشيطة مستبشرة كأي واحد منكم.

أحست أنجيلا، بصفتها تلعب الدور الرئيسي في هذه التمثيلية، أن من واجبها قول شيء قبل أن تتجه الأفكار إلى ما يسيء إلى والدة دان المريضة، فسألت عشوائياً تقريباً:

ـ هل طبيبك راض عن الأمور حتى الآن؟

ـ أجل.. بالقدر الذي يرضيه عادة. إنه طبيب مميّز دكتور رومر هذا.

استمرت أنجيلا بفبركة الحديث:

ـ إنه اسم غريب.. ليس عادياً، أليس كذلك؟

فقالت السيدة سايرز:

ـ صحيح.. لم أسمع به من قبل.. وأنتِ؟

ردت أنجيلا دون تفكير مسبق:

ـ مرة واحدة فقط، وهذا ما جعلني أتذكره، فقد اعتقدت يومها أنه فريد من نوعه، فمدير المؤسسة التي أعمل فيها اسمه رومر، و...

وقبل أن تكمل كلامها أدركت أنجيلا غلطتها، فحاولت يائسة إصلاح الأمر فتابعت كلامها:

ـ أعني المؤسسة التي كنت أعمل فيها.

وهنا سارع دان ليقول دون اكتراث:

ـ أجل.. ولكن لا تنسي حبيبتي مطلقاً أنني أنا رب عملك الآن.

أحست أنجيلا بالامتنان لدان لإنقاذها، حتى أنها تشوقت لتقبيله.. ولكنها استعاضت عن ذلك بابتسامة ساحرة، وأبقت تعابير وجهها ثابتة مقابل وجه دان. ثم التفتت إلى ستيلا حين قالت:

ـ لم أكن أعرف أنك تعملين. كنت أعتقد أنك تعيشين في المنزل مع والديك وشقيقك.

ـ أوه.. لا.. في الواقع عملت فترة قصيرة في مكتب محاماة وانتهى الأمر عند هذا الحد، فلم يزد أحد على هذا الكلام. وهنا

سألت السيدة سايرز بلهفة ظاهرة:

ـ كم تستطيعان البقاء يا أحبائي؟

فردت أنجيلا بعفوية ودون تفكير:

ـ قدر ما تريدين يا سيدتي.

فضحكت الوالدة بسعادة واحتجاج:

ـ أوه يا طفلتي العزيزة.. لا يمكنكما تأجيل شهر العسل إلى مدة غير محددة... فأنا لن أرضى بهذا أبداً. أرجو أن لا تكون الغيتَ أيّاً من الترتيبات دانيال؟

فردَّ دان بهدوء:

ـ لا تقلقي أماه، لم نلغ شيئاً. ولكن فقط أجّلنا شهر العسل لوقت غير محدد، فقد قررنا أننا سنتمتع بوقتنا أكثر فيما بعد، بعد أن نطمئن على صحتك أليس كذلك حبيبتي؟

أجابت أنجيلا بصوت منخفض:

ـ أجل حبيبي.

نقلت الأم نظرها من أحدهما إلى الآخر. ورغم الابتسامة التي علت وجهها إلا أن أنجيلا لاحظت تأثرها:

ـ أنتما ولدان طيبان ولطيفان، وليس من الضروري تأجيل شهر العسل طويلاً.. فالدكتور رومر قام بكل الترتيبات لأدخل المستشفى يوم الاثنين. وهو قادم هذا المساء يا دان، وستعرف منه كل التفاصيل.

أحست أنجيلا بالقشعريرة لتوقعها تمديد خداعهما.. لكنهما كانا يعرفان أن عليهما إشراك الطبيب بالأمر، وعلى أية حال، لقد، سارا شوطاً طويلاً الآن، ولن يستطيع أحدهما التراجع.

بعد هذا اللقاء مع العجوز المريضة التي بدا عليها التعب، انصرف دان إلى عمل خاص به فيما انفردت ستيلا بأنجيلا:

ـ سأرافقك إلى غرفتك. خصصت لكما الغرفة التي كانت لوالداي.. إنها غرفة جميلة وكبيرة، وفيها غرفة ملابس صغيرة، وهي

غرفة مريحة جداً.

تمتمت أنجيلا بذعر ودهشة دون أن تلاحظ ستيلا ذلك:

ـ أوه.. شكراً لك.. كثيراً عزيزتي. أنتِ جداً لطيفة.

راحت تحدّث نفسها أنه من الغباء عدم تفكيرها من قبل بمثل هذه الصعوبات المحددة، فلقد اعتقدت أن دان سيمنع حدوثها. والآن، ها هي تواجهها، وتدخل غرفة من المتوقع أن يشاركها فيها دان. وكل ما تستطيعه هو إظهار رضاها وإعجابها بالوضع أمام ستيلا.

وقالت لنفسها: يجب شرح الأمر لستيلا.. فمن السخف الاستمرار في هذا الخداع دون علمها، فلعلها تساهم في تسهيل الأمور.

كانت أنجيلا على وشك الانطلاق بالشرح، حين تذكرت أن دان قال لها إنه وستيلا غير متفقين، فقررت على مضض، الصمت حتى تناقش الأمر مع دان قبل الدخول في مثل هذه المخاطرة.

لم يعد أمامها إذن، سوى أن ترافق ستيلا إلى الغرفة وتبدي استحسانها وارتياحها لها... وتأكيدها على أن الغرفة تحتوي على كل ما يمكن أن تحتاجه، ثم أكدت لستيلا أنها ستنزل إلى الطابق الأرضي حال استعادة نشاطها. وقبل أن تتركها ستيلا، قالت لها مبتسمة:

ـ فستانك رائع.. بيرنيس.

هذا الفستان كانت أنجيلا تود ارتداءه في عرس بيرنيس، ثم بعد تسارع الأحداث قرّرت أنه مناسب لرحلتها هذه نحوالمجهول.

بعد أن تركتها ستيلا، تقدمت إلى النافذة لتتفرج على الحديقة.. فإذا بها أمام منظر جميل لنهر الهدسون وما يحيط به من حدائق عامة، لكن ما أثار اهتمامها أكثر، هو رؤيتها جيداً لدان وهو يتمشى في الحديقة.

وقفت فترة تراقبه، يخالجها إحساس ما بين الاهتمام المحب والسخط، للطريقة التي اجتذبها بها إلى عمله الطائش هذا. كانت تحس وبألم، لقلقه على أمه، ولحزنه وإذلاله مما فعلته بيرنيس به. لكنها لم

تستطع إلا التمني لو أنه يفكر بها وبالصعوبات التي تواجهها، والاهتمام ولو قليلاً بإبعاد الشبهات عنها. صحيح أنه من الرائع قوله عنها إنها عملية ومتفهمة، وإحساسه بأنه يستطيع الاعتماد عليها والثقة بها.. لكنها هي أيضاً تحس أنها قد تستفيد من الاعتماد على شخص آخر. فهي تشعر بالخوف مما فعلته، وتتمنى لو أن دان غير مستغرق هكذا في قلقه لدرجة عدم اهتمامه أبداً بمشاكلها... ليس فقط مشاكلها كبديلة لبيرنيس بل لشخصها كأنجيلا، والتي بالكاد لاحظ يوماً أنها شخص موجود مستقل بعيداً عن بيرنيس.

كانت قد توصلت إلى هذا الاستنتاج الكئيب والمؤلم حين رفع دان رأسه وشاهدها، وباندفاع عفوي، فتحت أنجيلا النافذة ومالت إلى الأمام ملوّحة بيدها لدان:

ـ مرحباً.

فردّ مبتسماً وكأنه بالفعل يرى عروسه قائلاً:

ـ ألن تنزلي؟ أمضيت فترة طويلة دونك.

علمت في أعماق قلبها، أن هذا مقطع من التمثيلية أمام ستيلا أو أي شخص آخر قد يكون يراقبهما. لكنها في تلك اللحظات أحست كأنها «جولييت» تطل من نافذتها إلى «روميو» وحين قالت بصوت منخفض توّاق: «أنا قادمة». شعرت أن هذا الجواب آتٍ من قلبها قبل لسانها وكم تمنت لو يشعر دان بذلك!

سحر تلك اللحظات بقي معها وهي تركض نزولاً فوق السلم لتنضم إليه... وبالغريزة وحدها وجدت طريقها إليه في الخارج عبر باب جانبي. كان يقف هناك، على الكرسي الصغير ينتظرها.. حين وصلت إليه، شبك ذراعه بذراعها وقال:

ـ تتدبرين الأمر بطريقة رائعة حتى الآن.

ـ صحيح؟

ضحكت والفرح يملأ نفسها، وهي تشعر أنه راضٍ عنها، إضافة

إلى علامات الراحة التي تبدو عليه وهو يتمتع بدوره الذي يلعبه... وبصمت تمشيا في ممرات الحديقة وهما متشابكي الذراعين. وما لبثت أنجيلا أن قطعت هذا الصمت بلطف قائلة:

ـ أتعرف، أن لك أمّاً طيبة ومحبوبة. وأنا سعيدة لقيامي بهذا الدور.

ـ شكراً لك وأنا مسرور لأنك فعلت. وأتمنى لو تعرفين كم أنا مدين لك.

ـ لا مجال للعرفان بالجميل بيننا.

فشد بساعده على ذراعها:

ـ أوه.. بلى.. هناك الكثير.. فلولا إنقاذك لي لكنت أتخبط الآن في مشكلة كبيرة.

ضحكت قليلاً وقالت بحياء:

ـ لا أذكر أنك أعطيتني الخيار.

ـ أقلت شيئاً لستيلا؟

ـ لا.. لن أفعل شيئاً دون استشارتك.

ـ فتاة طيبة. شكراً لك.

ـ لكنني لا أرى كيف يمكنك الاستمرار في إخفاء السر عن ستيلا، ولو لأسباب عملية على الأقل.

ـ أسباب عملية؟ وما هي؟

ـ حسناً.. على الأقل لأجل الترتيبات المنزلية، خاصة وأن إدارة المنزل في يدها. هل تعلم أنها أعطتنا غرفة مشتركة، وهذا طبعاً في رأيها شيء طبيعي لعروسين!

ـ حقاً؟

ضحك بهدوء، ولكن أنجيلا لم تكن تتوقع منه ردّة فعل كهذه، وزادت دهشتها حين سألها:

ـ أية غرفة أعطتنا؟

ـ الكبيرة في مؤخرة المنزل، حيث كنتُ أنظر إليك.

ـ حسناً.. لا يمكن عمل أي شيء إزاء ذلك، علينا فقط تدبر أمرنا، دون إثارة أي شبهات!

ـ لكن...

فقاطعها مطمئناً:

ـ لا تقلقي.. قد تكونين بديلة عن بيرنيس إلى حد ما، لكن من المستحيل في هذه الحالة...

هذا التطمين كان بمثابة صفعة على وجه أنجيلا الذي علاه الاحمرار، إلاّ أن سماع صوت سيارة يقترب لفت انتباه دان عن رؤية احمرار وجهها، فقال:

ـ لا بد أنه الطبيب. فلندخل...

سمعت أنجيلا الدكتور يقول بصوت عميق رزين وهادىء لستيلا:

ـ مساء الخير آنسة سايرز..

لم يكن الطبيب وحده، فعرّف عن رفيقه: هذا أخي، سيبقى بضعة أيام معنا، وقلت له إنكِ سترينه أفضل أنواع الأقحوان في البلاد كلها.

ـ كم هذا لطف منك! دكتور.

وتقدمت ستيلا إلى الأمام مصافحة أخ الطبيب الذي ألقى التحية بدوره ثم قالت للطبيب:

ـ وأخي كذلك وصل قبل قليل مع زوجته. أرجوكما تفضلا بالجلوس.

تقدم دان ليسلم على ضيفه، تتبعه أنجيلا... لكن ما إن اتجه بصرها إلى مرافق الطبيب حتى حبست أنفاسها كي لا تخرج منها شهقة رعب.. فالرجل المرافق للطبيب رب عملها، السيد رومر. ورغم أن أنجيلا ليست خبيرة بالمواقف الدرامية، إلاّ أنها أحسنت التصرف في هذه اللحظة الحرجة. فقد شدّت على يد السيد رومر المندهش قائلة:

ـ لقد صدق ظني بأنك أنت هو شقيق الطبيب الذي يعالج والدة

دان. والآن ما رأيك أن أرافقك إلى الحديقة لترى ما فيها من أزهار، وطبعاً سأشرح الأمر لك في نفس الوقت.

وبدهشة غير المصدّق قال السيد رومر:

ـ يا إلهي! من؟ آنسة ماكلاود! من أين حضرت أمامي؟ وهل فهمتُ حقاً من الآنسة سايرز أنك زوجة أخيها؟

قبل أن تتمكن أنجيلا من الرد، حشرت ستيلا نفسها ثانية:

ـ لقد تزوجا اليوم فقط.

وأخذت تنقل نظرها من وجه الرجل الرزين الأحمر إلى وجه أنجيلا المبتسم الشاحب.. وهنا تدخل دان ليحسم الموقف:

ـ كان زواجنا مقرراً قبل مرض أمي، إلا أننا فضلنا تأجيل شهر العسل حتى شفاء أمي... حبيبتي رافقي السيد رومر إلى الحديقة.. وأنا وستيلا سنرافق الطبيب ليرى أمي، ويطلعنا على التفاصيل حول دخول المستشفى وإجراء العملية.

ـ حسناً، تفضل سيد رومر.

من شدة شوقها لإبعاده كادت تشبك ذراعها بذراعه، لكن جواً من التحفظ حول رب عملها، حذّرها من القيام بأي حركة غير رسمية. وبدا على السيد رومر الانزعاج حين وجد نفسه في الحديقة دون موافقته، وبعد أن جلسا على أحد المقاعد قال بلهجة فيها كل شيء سوى التهنئة:

ـ حسناً آنسة ماكلاود، هذا عمل غير طبيعي... فمن واجب موظفينا إعلامنا مسبقاً عن عزمهم على الزواج، وأنت تعرفين هذا. أليس كذلك؟

ـ أجل أعرف، وأنا آسفة جداً سيد رومر. لكن يجب أن أشرح لك.. فالأمر ليس إطلاقاً كما يبدو لك.

ـ ماذا يعني هذا بالضبط؟ أتحاولين القول إنك في الحقيقة لست متزوجة من السيد سايرز..

ـ أجل.. أعني هذا.. وأنا أحاول أن أشرح لك ملابسات

الموضوع.

ـ لكنك تقدمين نفسك كزوجة له.

ـ إنني أقوم بدور زوجة دان كي لا تصاب السيدة سايرز المريضة بصدمة تؤثر سلباً على صحتها في الوقت الذي من الضروري أن تكون هادئة وغير قلقة قبل إجراء العملية.

ـ آنسة ماكلاود، لديك فكرة غريبة عن أفضل الوسائل لمنع الصدمات والحزن. وأنا أزداد حيرة حيث تبدو لي قصتك غريبة بمرور كل لحظة.

ـ لم أخبرك بالقصة بعد.

أصغى إليها السيد رومر باهتمام، لم يكن مشجعاً لها للاستمرار في هذه التمثيلية، مما جعل أنجيلا تتبنى لهجة دفاعية، دون أن تنسى اعتقادها في قرارة نفسها، أن ما تقوم به هو واجبها، ثم أنهت كلامها:

ـ وبكل تأكيد، حال أن تُشفى السيدة سايرز، سنشرح لها الأمر.

فعلّق السيد رومر على كلامها برزانة:

ـ ولكن في تلك المرحلة ستتلقى السيدة سايرز صدمة أكبر مما لو أبلغتموها بالوقائع الحقيقية الآن.

ـ ستكون في وضع صحي أفضل.. مما يساعد على تحمّل الحقيقة المؤلمة.

ـ ليس من الصواب المقامرة على إمكانية موت شخص آخر آنسة ماكلاوود.

ـ نحن لا نقامر بمثل هذا! فنحن نأمل، ونصلي، لكي تستعيد السيدة سايرز عافيتها. لكن، أليس من الأفضل في حال عدم شفائها أن تمضي آخر أيامها بسعادة دون أي قلق، وقد تعرفت على زوجة ابنها واطمأنت عليه؟

لم يقتنع السيد رومر بكلام أنجيلا، فهزّ رأسه قائلاً:

ـ أنا من الطراز القديم، آنسة ماكلاود، وأؤمن أن الصدق هو أفضل

وسيلة في كل الأوقات. وهذه الخدعة وإن كان الهدف منها نبيلاً، تبقى أمراً غير مرغوب فيه. ليس من شأني بالطبع أن أقدم النصح إليك في حياتك الخاصة.. لكن يبدو لي أنكِ تصرفتِ بطريقة غير مسؤولة حيث وجدت نفسك في مركز بغيض. وأنا أصدّقك وأتقبل تفسيرك.. لكن من لا يتسامح بمثل هذه الأمور، لن يقبل عذرك. فأية شابة تترك منزلها لتقوم بدور زوجة رجل غريب وتقيم معه تحت سقف واحد... لا يجب أن تندهش إذا حصل تفسير غريب لتصرفاتها.

وتنحنح السيد رومر بصوت مرتفع ليؤكد على أحقيّة كلامه.

في أول جزء من كلامه، وجدت أنجيلا نفسها متعاطفة مع ما يقوله حول تفضيل الحقيقة مهما كانت الأسباب، لكن حين وصل إلى قوله إن أية شابة تقوم بدور زوجة رجل غريب سيُساء فهمها، أحست بالغضب والسخط يملآن صدرها، واحمرّ وجهها خجلاً، وتساءلت كيف يجرؤ السيد رومر على توجيه مثل هذا الكلام لها؟

فصاحت به:

ـ ليس من حقك أن تكلمني هكذا. لقد أخبرتك الحقيقة لأنني.. لأنني...

ـ لأن لا خيار آخر لك آنسة ماكلاود، فبقاؤك صامتة سيزيد وضعك ريبة أكثر مما لو شرحت.

ـ على أية حال.. لقد أخبرتك. وكنتُ صريحة معك. والآن ربما بالإمكان إقفال الموضوع، فكما قلتَ بنفسك، شؤوني الخاصة لا تعنيك.

ـ لم يكن هذا ما قلته بالضبط آنسة ماكلاود. ما قلته إنه ليس من شأني توجيه النصح لكِ في كيفية إدارة حياتك الخاصة.

ـ إذن؟

ـ لأكن صريحاً معك، صحيح أن حياتك الخاصة لا تعنيني، إلاّ إذا كانت تؤثر على مركزك كموظفة في مؤسستنا.

ـ لكن ما دخل هذا في التأثير على مقدرتي وكفاءتي في العمل؟

نظر إليها السيد رومر مستغرباً عدم فهمها السريع لما قاله:

ـ عزيزتي الآنسة ماكلاود، تعرفين جيداً أن مؤسستنا قديمة العهد، وهي محترمة جداً، ونحن نتعامل مع فئة مميزة من الزبائن، ونعاني الأمرَّيْن كي نحافظ على سمعتنا الحسنة. وأعتقد أن معرفة الزبائن بطريقة ما للشؤون الخاصة لموظفة طباعة لدينا قد تؤثر على سمعة مؤسستنا...

أجفلت أنجيلا فجأة لتقليله من قيمة عملها من سكرتيرة خاصة إلى موظفة طباعة، ثم تابع:

ـ لكنني لست واثقاً أننا قد نرغب في أن يكون لدينا موظفة تصرفاتها خارج العمل مثيرة للشبهات.

عندها أحست أنجيلا أن الغضب سيطر عليها، فردت عليه باختصار قدر الإمكان:

ـ تصرفاتي لم تكن يوماً مثار شبهة سيد رومر... وأنا بكل قوة أرفض هذا التلميح وأحتقره.

لكن السيد رومر لم يكترث لما قالته أنجيلا، فرد عليها قائلاً:

ـ إن تمثيل دور زوجة رجل، يُنظر إليه عادة بريبة كبيرة في الدوائر التي تنتمي إليها فيها مؤسستنا.

ـ لكن هناك ظروف خاصة تضغط على الإنسان.

فقاطعها بخبرة:

ـ يا طفلتي العزيزة.. هناك دائماً ظروف خاصة. لكن في هذه الحالة أنا واثق أنكِ تصرفت من دوافع مضللة.. والنتيجة أنك أوصلت نفسك إلى موقف غير مستساغ لك، وغير مقبول من وجهة نظرنا.. ولا تنسي أنك تعيشين في عالم يحكم فيه الناس على الظاهر قبل السؤال عن الحقيقة، هذا إذا سئلوا. فما من شابة تملك عقلاً سليماً وحسن اختيار تضع نفسها في موقع التصرف السيء مهما كانت الدوافع والظروف.

وفي مؤسستنا آنسة ماكلاوود، نطلب من أية موظفة لدينا العقل السليم وحسن التصرف والاختيار.

عضت أنجيلا على شفتها وسألته ببرود:

ـ هل تحاول أن تقول لي إنه عليّ ترك العمل في المؤسسة؟

وبحركة من يده الضخمة، أشار السيد رومر أنه لا يود التسرع في اتخاذ القرار بهذا الشأن فرد عليها:

ـ لا.. أنا فقط أبيّن لك أن تصرفك غريب ومريب في آن، ولا أدري إلى أي مدى نستطيع التغاضي عن مثل هذا التصرف نظراً للظروف، وهل بالإمكان نسيان هذا العمل السخيف...

ثم ساد الصمت بينهما، حيث حوّل السيد رومر نظره عنها، فلحقت أنجيلا بنظره لترى ستيلا تقف بالباب مشيرة إليهما، ثم قالت لأنجيلا تفاجئها:

ـ هناك مكالمة خارجية لك عزيزتي.. والدتك تود التحدث إليك.

ـ والدتي.. لكن...

أضافت ستيلا وهي تضحك:

ـ يبدو أن والدتك لم تتعود بعد على أنك أصبحت السيدة سايرز فقد قالت إنها تريد الآنسة ماكلاود.

ثم أشارت بيدها ترشد أنجيلا إلى مكان الهاتف:

ـ الهاتف هناك أمام الباب...

ببطء وتردد ظاهرين لم يلاحظهما أحد، تقدمت أنجيلا إلى الهاتف والتقطت السماعة.. فيما ستيلا والسيد رومر بقيا واقفين عند الباب يتبادلان الحديث، حين تكلمت على الهاتف.

ـ آلو..

وجاءها صوت الخالة رامونا القلق الحاد:

ـ آلو.. مرحباً. ماذا يجري بحق السماء؟ من يتكلم... أنجيلا... أهذا أنت أم بيرنيس؟

ـ أنا أنجيلا.. خالتي رامونا...

ـ لكن ماذا حدث؟ ماذا تفعلين أنجيلا مع دان.. اتفقتما على اللقاء سراً... هل لهرب بيرنيس علاقة بهذا..؟ لم تكوني صادقة معنا أنجيلا! قلت إنك استلمت رسالة من بيرنيس.. لكننا لم نرها... هل اكتشفت ابنتي المسكينة شيئاً عنك وعن دان؟ يا إلهي، غير معقول ما حصل، لماذا فعلتِ هذا بنا أنجيلا؟

قاطعتها أنجيلا بصوت مرتفع واضح وجليّ:

ـ خالتي رامونا.. هروب بيرنيس تمّ قبل حتى أن أفكر بالمجيء مع دان. وأنا هنا لأن دان كان قلقاً كثيراً حول تأثير ما حدث على أمه المريضة، كما تعلمين. وأنا أفعل ما بوسعي لأكون بديلة عن بيرنيس في هذا الوقت...

ـ أوه...

الصرخة المذهولة التي أطلقتها الخالة عبر التلفون جعلت أنجيلا تصمت، فاغتنمت الخالة الفرصة لتنفجر بسيل من الأسئلة:

ـ لكن أنجيلا لماذا لم تخبرينا؟ لماذا كل هذه السرية السخيفة؟ ماذا سأقول للآنسة كاربنتر؟ إنها...

فقاطعتها أنجيلا:

ـ لا أهتم مطلقاً بما تقولينه للآنسة كاربنتر.. فهذا أمر لا يعنيها.

صاحت الخالة المسكينة بسخرية:

ـ بالطبع لا يعنيها.. ولهذا هي متشوقة لمعرفة الحقيقة.. لكن الأمر كله بدا غير طبيعي.. خاصة حين علمت الآنسة كاربنتر أنني لا أعرف شيئاً عما يجري، لماذا لم تخبريني أنجيلا؟ فكرة من كانت هذه الخدعة السخيفة؟ دان؟ لا أستطيع أن أصدق.

فقالت أنجيلا كاذبة:

ـ لا.. كانت فكرتي أنا خالتي رامونا، وقد وافق دان عليها.

لقد تجاوزت أنجيلا الآن مرحلة التحفظ ومدى تأثير كلماتها على

من كان في الردهة.. لأن الخالة رامونا المتزنة، الصلبة عادة، بدت أنها على حافة الجنون. ومن واجب أنجيلا تعريفها الحقيقة كي تهدأ ولو قليلاً، إلاّ أن الخالة انفجرت قائلة:

ـ أيتها الشريرة!

أجفلت أنجيلا لسماعها رد خالتها القاسي.. فبالرغم من كل تعقيدات حديثها مع خالتها، إلا أنها لم تتوقع منها هذا الرد الجاف والجارح... فقد توقعت أنجيلا دهشة خالتها وانزعاجها عند معرفة الحقيقة، لكن هذا الغضب والتأنيب والسخط، لم يكن في حسبانها أبداً.

وراحت أنجيلا تتساءل ما إذا أفاقت من حلم مزعج، حين أنهت المكالمة مع خالتها لتواجه النصف الآخر من المشكلة.

كانت ستيلا تقف جامدة، محمرة الوجه والدموع في عينيها.. وقد أخذت الدهشة منها كل مأخذ.

وفكرت أنجيلا بذهول: لكن لماذا الدموع.. ولماذا نظرة الغضب والسخط واللوم هذه؟ وصاحت ستيلا:

ـ كم هو عمل شرير هذا الذي أقدمت عليه... كيف يمكنك خداع أمي المسكينة هكذا؟

ـ يا فتاتي العزيزة...

ـ لست فتاتك العزيزة.. بل أنا واحدة من المساكين الآخرين الذين خُدعوا بك.

كانت ستيلا تتحدث كطفلة دون وعي، أكثر من أن تكون شابة متعقلة.. وأمام غضب أنجيلا وذهولها، انفجرت بالدموع، وهرعت إلى غرفة أخرى.

مررت أنجيلا يدها على شعرها مرتبكة، أحسّت أنها لا ترغب في تخيل مدى تأثير ما حصل على السيد رومر، ثمّ تذكرت كلامه حين قال لها: «لو أن هذا الوضع السخيف يمكن نسيانه» ولكن هذا الوضع

السخيف تطور بسرعة ليصبح دراما غير مرغوب فيها، وأمام عينيه. وأصبح نسيان الأمر مستحيلاً... ثم تكلم السيد رومر:

ـ إنه مشهد مؤلم سخيف.

مع أن أنجيلا كانت واثقة أنه يشير إلى تصرف ستيلا غير الطبيعي، إلا أنها لاحظت عدم تغيّر رأيه المعارض لما تفعله سكرتيرته. فأجابته:

ـ لم أكن أظن أنها ستأخذ المسألة بهذه الحدّة.

ـ وأنا لم يكن لديّ فكرة أنك تنفذين هذا الخداع دون معرفة العائلة بالأمر. حقاً آنسة ماكلاود، الكلمات تخونني حين أفكر بتصرفاتك الغريبة.

ـ بدا لنا أنا ودان أنه من الأفضل عدم معرفة الكثيرون بالسر.

ـ لكن يبدو أن العدد يزداد مع الأسف خلال الربع الساعة الأخيرة.

وأشار إلى الهاتف، فعضت أنجيلا على شفتها:

ـ أوه.. تلك كانت خالتي.

فرفع حاجبيه مستغرباً وقال بنبرة حادّة:

ـ والدة الفتاة التي كانت ستتزوج السيد سايرز؟

ـ أجل...

وسمعا صوت فتح الباب في الطابق العلوي وسرعان ما ظهر دان والطبيب، ينزلان السلم معاً. وبصعوبة منعت أنجيلا نفسها من الركض نحو دان وطلب الدعم منه، واستطاعت السيطرة على أعصابها.

وما إن رأى دان أنجيلا والسيد رومر يقفان في الصالون حتى قال:

ـ مرحباً حبيبتي.. أين ستيلا؟

أشارت أنجيلا إلى الغرفة ثم قالت بعد أن جمعت شجاعتها:

ـ هنا في الداخل، تبكي بألم لأنني لست بيرنيس.

فغر دان فمه متسائلاً:

ـ ماذا؟ ما الذي حصل؟

ـ آسفة دان.. اتصلت خالتي رامونا، وتهاوى الموقف كله، فقد

سمعت ستيلا كل شيء.

ـ أوه...

بدا على دان الانزعاج الخفيف، بينما أخذ الطبيب ينقل نظره من أحدهما إلى الآخر وقد امتلكه إحساس مرهف بالمرح.. بينما اقترح السيد رومر:

ـ حسناً ربما يجب أن نذهب الآن.

قال الطبيب بحيرة:

ـ إذا لم يعد من ضرورة لوجودي.

حاول دان جهده إخفاء رغبته بالانفراد بأنجيلا ليعرف تفاصيل ما حدث، فقال:

ـ شكراً لك دكتور.. لا أظن أن هناك شيئاً آخر نحتاجك فيه.

إلاّ أن أنجيلا قالت:

ـ أتسمح بأن تشرح الأمر للدكتور سيد رومر. فلا داعي لعدم معرفته بما جرى.

هزّ السيد رومر رأسه برزانة، ثم قال لها:

ـ حسناً سأكتب إليك من المكتب. بعد أن أدرس الموضوع وما تبعه من أحداث مؤسفة.

حافظت أنجيلا ودان على الهدوء بينما كان الطبيب وأخوه يرتديان معطفيهما، ثم يخرجان. وفي اللحظة التي أقفل دان الباب وراءهما استدار إليها:

ـ حسناً.. ماذا حدث؟

ضحكت أنجيلا بمرارة وهي تجلس مرتجفة على المقعد:

ـ كل شيء... اتصلت خالتي رامونا في وقت كنتُ أتدبر أمري مع السيد رومر. وستيلا هي التي أجابت على الاتصال أولاً.

ـ لكن كيف عرفت؟ إنها تعتقد أنك بيرنيس.

ـ ألا ترى... لقد طلبت خالتي التحدث إلى الآنسة ماكلاود،

فظنتها ستيلا تسأل عن ابنتها وأنها نسيت استخدام اسم السيدة سايرز. ولم أستطع القول إنني لست ابنتها. . أجبتُ على المخابرة، فيما ستيلا جلست مع السيد رومر في الردهة وهكذا سمعت كل شيء. .

ـ لكن كيف عرفت خالتك أنكِ هنا؟ أعني، ما الذي دفعها للاتصال؟

ـ أوه. . أخبرتها الآنسة كاربنتر بأنها رأتنا سوياً في المحطة.

ـ كاربنتر؟

وأخبرته أنجيلا بما جرى، فقطب دان وقال:

ـ وهنا من حقك أن تقولي «لقد حذرتك».

ضحكت أنجيلا:

ـ ولماذا؟

ـ لأنك بالفعل حذرتني من اللقاء في مكان قريب من بلدتكم.

ـ لا بأس، كان حظنا سيئاً.

وساد الصمت بينهما للحظات، فانشغلت أنجيلا عن نظرة الرضى في عيني دان بأفكار جديدة:

ـ دان. . لم يكن لديّ فكرة أن ستيلا ستتصرف هكذا.

ـ أوه. . . ! إن لستيلا شخصية تحمل التناقض في تصرفاتها. لهذا لم أوافق على إخبارها منذ البداية. . إنها تميل لتضخيم الأمور.

ـ حسناً، إنها مستاءة جداً لما حصل، وهي على حافة الانهيار، لذا من الأفضل أن تدخل وتتحدث إليها.

فضحك دان بخشونة:

ـ إنها هكذا دائماً. . عاطفية جداً، وتميل إلى التعاطي مع كل شيء بطريقة سخيفة. وأنا لست صبوراً معها. فهي تجعلني أشعر بالحرج والتوتر حين تفتعل مشهداً كهذا.

نظرت إليه أنجيلا بعطف، فهي تعلم أن قلقه على أمه ينسيه كل شيء. وقالت بطريقة الأمر الواقع:

ـ لا يمكن لأحد أن يشعر هكذا بالنسبة لقريب له. . وخاصة إذا كان هذا القريب أخاً أو أختاً، لذا من الأفضل أن تتعامل مع ستيلا بكل مشاعر الأخوة.

ـ ربما معك حق.

ودخلا إلى ستيلا، فإذا بها تقف قرب النافذة في غرفة الجلوس تحدق بشكل حزين إلى الحديقة، وتشد بتوتر على طرف المنديل الذي تحمله، وبدت وكأنها تحاول كبت الشعور بالخيبة والحزن البادي على وجهها، فاقترب منها دان محاولاً تهدئتها وطمأنتها قائلاً:

ـ لا داعي لتكدير نفسك هكذا ستيلا. أنجيلا وأنا كنا نفكر بصحة والدتنا، وأعلم أن هذا هو همك الأكبر كذلك.

ردت ستيلا بلهجة مؤنبة قاتمة:

ـ أفضّل الموت على خداع أمي.

ـ لكن من الجيد أن نؤمن لها الراحة في حياتها بخداع بسيط. هيّا لا تكوني سخيفة ستيلا. . فهذه ليست مناسبة للتظاهر بالبطولة.

أخذت أنفاس ستيلا تتسارع وهي ترد على أخيها:

ـ المسألة ليست مسألة بطولة. . فهذه الفتاة. . .

ـ اصمتي! لن أسمح لكِ بالكلام هكذا عن أنجيلا!

ذُهلت أنجيلا للهجة السلطة التي سمعتها منه، وأخفضت ستيلا عينيها. . لكنها أكملت، بصوت أكثر انخفاضاً:

ـ لكنها فكرتها. . هي من قالت هذا. والرجال دائماً سخفاء. ينجرفون وراء محاولة الفتاة إيقاعهم في الشراك. . . إنها لا تحبك. . وهذا واضح للجميع، من نظرتها إليك. . إنها وابنة خالتها ثنائي متكلف مرائي، ولقد جعلاك أضحوكة فيما بينهما.

راحت أنجيلا تفكر بصمت: أيمكن أن تكون غيورة لهذا الحد؟ يقول دان إنهما غير متفقين، لكنها يبدو أنها تغار من أي شخص يتفق مع شقيقها!

ردَّ دان بهدوء على شقيقته لكن هدوء لهجته لم يخفِ غضبه:

ـ هذا يكفي ستيلا. فلديّ أسباب تكفي لأكون ممتناً لأنجيلا لمساعدتها لي في هذا الأمر التعس. ولن أسمح لأحد أن يشكك في تصرفاتها وبالنسبة لكلامك السخيف عنها، حول حبها لي...

صمت لحظة ثم التفت إلى أنجيلا وأكمل فوراً:

ـ أنا آسف أنجيلا لإحراجك وانزعاجك لمثل هذا الكلام السخيف.

فابتسمت أنجيلا، وكأنها تتمنى لو باستطاعتها الاعتراف له بحبها إلا أنها ردت قائلة:

ـ لست محرجة.

فعاد دان يتابع رده على شقيقته:

ـ ستيلا، اسمعي جيداً. فالأمر المهم حقاً الآن هو الحصول على تأكيد منك بمساعدتنا على بقاء والدتنا بعيدة عن معرفة الحقيقة في الوقت الحاضر.

بقيت ستيلا صامتة، فصاح بها ساخطاً:

ـ ستيلا! ألا تفهمين أهمية الموضوع؟ انسي كل شيء حول نفسك لمرة واحدة! فأنت تشعرين بنفس قلقي تجاه أمنا. ولأجل الله! ساعدينا حتى تستعيد صحتها وعافيتها. وبعدها لكل حادث حديث.

نظرت ستيلا نظرة ملؤها العداء إلى أنجيلا، ثم هزت كتفيها قائلة:

ـ حسناً.. بما أنكما بدأتما هذا الأمر المشين، فأعتقد أنه من المناسب الآن الاستمرار فيه.

شدَّ دان على شفتيه لسماعه كلمة «المشين» لكنه كبح جماح غضبه، ولم يؤنبها عليها.. فلقد اكتسب النقطة المهمة، وبإمكانه تحمل ما يترتب على ذلك، ثم سألت ستيلا دان وأنجيلا:

ـ أتودان إجراء تعديل في واقع غرفكما... الآن؟

الوقفة قبل كلمة «الآن» كانت مميزة، مما جعل أنجيلا تحس أنها تضرب في الهواء دون جدوى حين أجابت بحزم:

ـ أجل.. أرجوك... لقد كنا سنطلب منك هذا بعد أن عرفت الحقيقة.

فضحكت ستيلا، ضحكة خفيفة، لكنها تحمل الكثير من الازدراء وعدم التصديق، مما ضايق أنجيلا وجعل وجهها يصطبغ بالحمرة، عندها قال دان بحدة:

ـ أظن من الأفضل التوقف عن التلميحات السخيفة ستيلا.

ـ لم أكن أتكلم عنك!

واستدارت ستيلا بحدة لتخرج من الغرفة، فتقدم دان نحو أنجيلا على الفور. ولم تدر لماذا دفعت ذراعه التي وضعها على كتفيها مواسياً ومطمئناً رغم أنها كانت سعيدة لهذا الدليل على الاهتمام بها.. لكن.. ربما غريزتها قالت لها، إن إظهار أي نوع من العاطفة الآن، سيكون غير حكيم في الأيام المقبلة... ومع إبعادها ذراعه عنها أحست بالندم...

فضحكت قائلة:

ـ أرجوك دان.. لا تهتم بما أفعل، فأنا متوترة وسخيفة.

ـ أوه.. لا. لست هكذا. إنه يوم متعب لك وللجميع يشعر معه المرء بالغضب والتوتر... وأنا أعتذر عن ستيلا...

ـ لا حاجة لأن تعتذر.

ـ لكنني لم أكن أعرف أنها تتصرف بهذه الغرابة من قبل.

ـ حسناً.. إنها تغار، بالتأكيد.

ـ تغار؟ لكن لماذا؟ وممن تغار؟

ـ حسناً.. بالرغم من جهدنا لنشرح لها أهمية الموضوع، فهي مؤمنة.. أنني أعني لك الكثير. ولا تتصور أنك تطلب مني الاشتراك في هذه المؤامرة، كما تقول ستيلا لولا أنك تحبني!...

ـ لكن، ولو كان الأمر هكذا... فلماذا تنزعج؟ أو تغار منكِ وهي أختي؟

ـ أوه.. دان! إنها مولعة بك جداً، وعلى طريقتها، وكثيراً ما تغار

الأخت من حبيبة أخيها أو زوجته.

فابتسم دان بمرارة رافضاً هذا التحليل من أنجيلا:

ـ أؤكد لك أنك مخطئة. وكما قلت لك.. فنحن لا نتفق مع بعضنا إطلاقاً.

ـ أجل، أعرف، لكن هذا لا يعني أنها ليست مولعة بك، وبطريقتها الخاصة.

بدا عليه الشك:

ـ متأكدة؟ وماذا تعنين بطريقتها الخاصة؟

ـ تماماً. إنها تحس بالتملك نحوك والعطف معاً، وتكره بمرارة أي نفوذ من أي شخص آخر عليك. أعتقد أن هناك فرقاً في العمر بينكما، وأنك أنتَ كنتَ الأخ الأكبر الرائع بالنسبة لها. ولهذا لا تريد أن تخسرك، وأنا حقاً آسفة لأجلها.

ضحك دان غير مصدق:

ـ أنت فتاة غير عادية أنجيلا، لمَ الأسف على ستيلا؟

ـ لأنني أعرف بنفسي أنه من الصعب حب شخص دون تملكه، وأنني أموت غيظاً لو رأيته مع فتاة أخرى مهما كانت...

انتبهت أنجيلا لكلامها فجأة، وقد اعتراها الذهول لانجرافها إلى قول الكثير عن نفسها لدان إلا أنها لاحظت نظرة اهتمام حقيقية في عينيه، لكن، عليها أن تخمدها قبل أن يبدأ تفكيره بتحليل كلامها، فاستطردت قائلة:

ـ هذا لا ينطبق على أيٍّ منا.. إلا أن الجميع يعرف أن الفتاة الغيورة، وخاصة الأخت الغيورة، تعاني الكثير. وعليك تقبل هذا الواقع في المستقبل يا دان. لأنك ربما تسبب الألم لستيلا دون قصد منك، لهذا يجب أن تشعرها باهتمامك.

فابتسم دان ساخراً ومتفاجئاً بتحليل أنجيلا لشخصية ستيلا:

ـ حسناً، لو قبلت بنظريتك أن ستيلا تغار، كما تقولين، من أي

شخص يعني لي الكثير، فلماذا استقبلتك بالترحاب والود حين ظنت أنك بيرنيس، ثم رفضتك بغضب ودون منطق حين علمت أنك لستِ زوجتي بيرنيس؟

ـ تساءلت عن هذا بنفسي.. لكنني أعتقد أنها كانت تعرف أن لا فائدة من مقاومة فتاة.. ظنت أنك... تزوجتها بالفعل... ومن المؤكد أن كل الغيرة التي كانت ستحس بها من بيرنيس كانت مستهلكة، أي أنها عانت منها في فترة خطوبتك لها.

ـ أجل.. ربما أنت على حق.. وحين تقبلت زواجي، صممت على أن تكون على وفاق مع.. زوجتي... أهذا ما تعنين؟

ـ أظن هذا، مع أن مثل هذه الأمور تحصل عادة مع الأطفال، وهذا ما يجعل التعامل مع ستيلا صعباً ودقيقاً.

ـ أنت امرأة ذكية ومميزة أنجيلا.. لكن، أعتقد أنكِ قاسيت قليلاً... في حياتك.

ـ وما الذي يجعلك تظن أنني قاسيت؟

ـ آسف.. لم أكن أحاول الاصطياد في الماء العكر. لقد ظننتُ من كلامك عن آلام ستيلا، أنك كنت تتذكرين شيئاً مؤلماً حصل لك وجعلك أنتِ أيضاً غير سعيدة في حياتك.

ـ أوه.. انسَ الأمر دان، أرجوك.

ـ حسنٌ جداً.. وما أرجوه أننا كعائلة، لن نسبب لكِ التعاسة والألم. ثم تذكرت، لم تقولي لي أنجيلا كيف تلقّى السيد رومر حقيقة الأمر؟

ـ أوه.. إنه.. إنه يعتقد أنني أظهرت نقصاً في التعقل، هذا على الأقل.

ضحك دان:

ـ أتعنين أنه يلومك على تصرفك؟

ـ إنه لم يوافق عليه تماماً.

ـ وماذا قرر؟

ـ قرر؟

ـ أجل.. ألم يمثل دور رب العمل المتشدد وهددك بالفصل، أو أي شيء من هذا؟ فأنا بالطبع أشعر بالمسؤولية تجاهك أنجيلا، فأنا من أحرجك بكل هذا.. ولمصلحتي الخاصة، أو بالأحرى لمصلحة عائلتي.. وأنتِ لا تعرفين أفراد عائلتي وبالتالي لسنا مهمين بالنسبة لك، ولهذا لا يمكن أن أقبل بخسارتك لوظيفتك، لمجرد أنك ابنة خالة بيرنيس، ولأنك كنت موجودة هناك!

شكرته أنجيلا قائلة:

ـ لطفٌ منك أن تهتم، ولا داعي للقلق عليّ، سأتدبر أمري فيما بعد.

ثم صمتت وراحت تفكر بكلامه: إنها بالفعل كما قال، مجرد ابنة خالة بيرنيس، وصودف وجودها هناك، ونتيجة لمشاركتها إياه في خداع أمه، يشعر بشكل فارغ، وربما بانفعال، أنه مسؤول عنها. وبينما هي غارقة في تفكيرها جاءها صوت دان بشيء من الحدة:

ـ المسألة ليست مسألة اهتمام أو لطف، إنها مسألة واضحة في أن يفي المرء بالتزاماته بكل إخلاص.

وهنا علمت أنه يحاول التأكيد لها استعداده لمساعدتها.. لكن كلماته آلمتها أكثر مما تظن... إنها تحبه وسعيدة بمساعدته، وهو يتكلم عن عملية وفاء بالتزامات، وبإخلاص... الألم والإحباط جعلا صوتها يرتجف، وكأنه صوت غريب عنها وهي ترد:

ـ ليس لديك أية التزامات نحوي دان.. أما بالنسبة للسيد رومر... فقد يسخط وينتقد، ويبدي الاستنكار.. لكنه لن يقدم على صرفي من العمل لأمر فعلته خارج مكتبه.

ـ حسناً إذن، هذا أمر لا بأس به. لكن إذا واجهتِ أية مشاكل معه، اعلميني بالأمر كي أتفاهم معه.

ـ لا تفكر بالأمر.. يمكنني التعامل معه.

وهذه كذبة بكل تأكيد، ستزعج السيد رومر كثيراً... ونظر إليها دان مبتسماً مع قليل من الحيرة:

ـ أتصور أنه بإمكانك التعامل مع معظم الناس لو اضطررت!

انفردت أنجيلا في غرفتها، التي أزالت منها ستيلا كل أثر لدان.. وراحت تعد الساعات التي تفصلها عن خلاصها. جلست على حافة السرير، رأسها بين يديها، تحاول إقناع نفسها أنها كانت تعرف عدم إحساسه بها.. لكن، لم يمضِ بعد ثمان وأربعون ساعة على فقدانه بيرنيس... إلا أن قلبها كان يتوسل أن تتغير تصرفاته معها مع مرور الأيام... فهي تعرف أن هناك أوقاتاً مرت استطاعت خلالها اختراق الجدار الذي بنته بيرنيس من حوله.. وجعلته لا يرى ويقدّر إلا من خلالها...

أتعبها التفكير، فغطّت في سبات عميق حتى الصباح...

بكل براعة المرأة، تلبست أنجيلا دور العروس السعيدة ودخلت في الصباح التالي لزيارة حماتها المفترضة.. التي أجابت حين قُرِعَ الباب:

ـ ادخلي حبيبتي.

استقبلتها العجوز المريضة بابتسامة مشرقة، إنها امرأة مميزة، فهي لا تشكو أبداً ولا تضجر من مرضها... وقد اكتشفتا معاً تمتعهما بنفس الروح المرحة، حتى الطريقة التي تنظران فيها لدان لم تكن تختلف كثيراً. فقد قالت حماتها المزعومة:

ـ أنتِ ترينه دائماً.. وتحبينه بأخطائه وكل شيء تماماً كما أفعل أنا. وهذا أمر غير عادي لعروس شابة مثلك... لكن هذا هو الواقع.. أليس كذلك حبيبتي؟

ولأن أنجيلا تعرف أن هذا فعلا هو الواقع لم تستطع سوى الابتسام على مضض:

ـ أجل.

فتابعت السيدة سايرز مفكرة:

ـ معظم الفتيات يشعرن بالامتنان لحصولهن على الرجل الذي يحبين ويحطنه بهالة ذهبية في الأيام الأولى، إلا أنهن يصبن بخيبة أمل حين تبدأ هذه الهالة بالاختفاء. لكن يبدو أنك تملكين جلاء البصيرة حتى في المراحل الأولى.. والتي يكون فيها المرء غير متأكد من سعادته.

نظرت أنجيلا إلى المرأة مذهولة، وحذرة قليلاً، فقد فاجأها كلام السيدة سايرز، إلا أنهاقالت محتجة بضحكة متوترة قليلاً:

ـ سيدة سايرز.. أنتِ ترين الكثير بالنسبة لشخص يقضي طوال يومه في الفراش.

فابتسمت المرأة بسعادة:

ـ حبيبتي... أنا لست امرأة غبية، وشكراً للسماء على هذا. صحيح أنني سخيفة أحياناً، لكن هذا أمر مختلف، فأنا لست غبية، وأستطيع استخدام بصري وبصيرتي.

ـ أنا أكيدة أنكِ امرأة ذكية سيدة سايرز.

فنظرت إليها حماتها المزعومة مفكرة، ثم قالت بلهجة مستساغة:

ـ إذن.. إذا كنت قد تقبلت هذا الواقع، فلن تندهشي لسؤالي: ما المشكلة بينك وبين ستيلا؟.

* * *

٤ ـ هل تحبينه؟

شهقت أنجيلا ولم تدرِ ما تقول ثم أخفت توترها وسألت:

ـ ما الذي يجعلك تظنين!.. أنا لم أقل شيئاً...!

ـ لا حبيبتي.. لم تقولي أي شيء... لقد كنت مثالاً للتكتم واللطف واللياقة، وتتهربين من ذكر ستيلا كلما ذكرتها. وكذلك ستيلا، لم تقل شيئاً. لكن صمتها أبلغ من الكلام، وهي مثلك كانت مثالاً للتكتم اللبق. وبحدس الأم، أنا متأكدة أن شيئاً ما حصل أدّى إلى سوء تفاهم بينكما. وأتمنى أن تخبريني بالأمر.

فكرت أنجيلا بما تقوله للسيدة المريضة، ثم بدأت تتحدث ببطء وباختيار دقيق لكلماتها:

ـ يجب أن لا تظني أني قاسية وغير لطيفة إذا قلت.. إن الأمر.. مجرد غيرة بسيطة.. كما استنتجت.

ضربت السيدة سايرز مقدمة أسنانها بأصبعها ثم قالت:

ـ لا أظنك قاسية مطلقاً.. وذكر الغيرة لا يصيبني بالدهشة أو الصدمة إطلاقاً. فأنا أحب ولديّ كثيراً. وأعرف بالطبع ميل ستيلا المهلك إلى الغيرة، خاصة بالنسبة لدان فأنتِ محقة في تحليلك، لكن ما أجد صعوبة في فهمه، أنها حين جاءت بك بالأمس إلى هنا لم تكن الغيرة بادية عليها.. ثم ألم تلاحظي أنها تكلمت معك بود حقيقي ودفء؟ لكن، ما أن دخلت في المساء لتتمني ليّ ليلة سعيدة حتى كنتِ موضوعاً محظّراً ذكره أمامها.

وأوضحت السيدة سايرز بضحكة صغيرة كم كانت متأكدة من هذا، ثم أكملت كلامها:

ـ لا بد أن شيئاً ما حدث ما بين الفترتين، ولا يمكن أن يكون حدسي مخطئاً.

ـ أتعنين أن الأمر يقلقك سيدة سايرز؟

ـ قليلاً.

ـ ألن تصدقي إذا قلتُ لكِ ببساطة إن لا شيء يستدعي القلق؟

ابتسمت السيدة سايرز بمكر خفي:

ـ غريب.. مع أنني أشعر أن هذا مدعاة طمأنينة منك أكثر مما لو سمعته من ولديّ، وأظن أن هذه هي الحقيقة. فأنا دائماً عندما أرى أي توتر على وجه دان أو ستيلا أبدأ بالقلق فعلاً أو التساؤل عما يخفيانه عني، وهما يعتقدان أنني غير قادرة على تحمل الحقيقة... لكن، أتعلمين، أنني أستطيع تحمل وتقبل الحقيقة مهما كانت صعبة، أفضل بكثير من بقية الناس.

ـ أنا متأكدة من قدرتك على هذا سيدة سايرز.

ثم راحت أنجيلا تفكر كم كان دان مخطئاً في مشروعه هذا.. وبدت المرأة المريضة وكأنها تفكر بصوت مرتفع، فتابعت حديثها مع أنجيلا:

ـ أتعلمين.. أنا معتادة تماماً على كون ستيلا مزعجة وغير متزنة في كثير من تصرفاتها لكن البارحة كان الاختلاف في تصرفاتها مفاجئاً جداً وغير متماسك، وكأنها أخذت تنظر إليكِ كشخص آخر...

شهقت أنجيلا، متفاجئة فصمتت السيدة ونظرت إليها، وقد احمرّ وجهها. إلا أن أنجيلا تماسكت وأجابت:

ـ لا شيء.. لكنك بدوتِ لي دقيقة الملاحظة، سيدة سايرز.

ابتسمت السيدة سايرز وراحت تداعب شعرها الأملس، وكأنها طفلة سعيدة. ثم أكملت:

ـ عزيزتي.. تجعليني أشعر أنني التحري الذكي الذي يُحلّل القصة في آخر الصفحات. لكنه عادة يعرف التفسير الكامل إلا أنه يريد الدليل والتأكد.. واعذريني على هذا التشبيه، في محاولاتي التوصل إلى الحقيقة... لأنني أرغب في معرفتها قبل أن أموت...

ـ سيدة سايرز.. لا تقولي شيئاً كهذا! ستتعافين قريباً.

ـ تسرّعٌ مني.. أليس كذلك؟ أترين، أي إنسان آخر بإمكانه استخدام تعبير الموت كوسيلة ضغط.. وأنا أعلم أنه يصدر مني كوسيلة ضغط على إحساسكم بالصدمة، إذا ذكرتُ كلمة الموت أمامكم.. لكنني مصرة وبعناد على معرفة كل ما بينك وبين ستيلا، وأظن أن لي الحق بمعرفة الحقيقة.

مرة أخرى ساد صمت يحمل في طياته الكثير من الدلالات فيما راحت أنجيلا تفكر، هل تقول الحقيقة لهذه السيدة الذكية؟ «ميزان القيم اختلط الآن.. ومن الطبيعي أن يكون من حقها معرفة الحقيقة. إنها أكثر ذكاءً وشجاعة مما افترضها مشروعنا السخيف، ويبدو أنها إهانة لها عدم إخبارها الحقيقة».

ثم فاجأت السيدة سايرز بسؤالها:

ـ أيمكن أن تقولي لي شيئاً أولاً؟ أكنتِ سعيدة جداً بزواج دان؟

نظرت العجوز لأنجيلا متفاجئة وقد بدا العبوس على وجهها:

ـ أتساءل لماذا تطرحين عليّ مثل هذا السؤال؟

ـ لأن الكثير مما سأقوله يعتمد على ردّك.

ـ وأنت تريدين الحقيقة غير المزيفة؟

ـ طبعاً سيدة سايرز.

ـ ليس طبعاً بالمطلق، فالحقيقة هي آخر شيء يرغب الناس في سماعه، مهما تظاهروا بالعكس. خاصة إذا كانت مؤلمة ومزعجة.

فابتسمت أنجيلا:

ـ لكنني أطلبها مع ذلك، وأنا قادرة على تحملها مهما كانت.

فردت السيدة ببطء:

ـ حسنٌ جداً. أنا لم أكن سعيدة اطلاقاً بزواج دان.. إلى أن شاهدتك على الرغم من حماسه للزواج منك يا عزيزتي، فقد كان لديَّ انطباع عن فتاة.. متصنعة، غير دافئة القلب ومغرورة... ولقد أسأتُ الحكم عليكِ قبل معرفتي بكِ عن قرب. لكن كما قلتُ لكِ بالأمس.. لم أركِ مطلقاً كما تصورتكِ.. ربما أخذتُ الانطباع الخاطىء من رسالتك... إضافة إلى أنكِ لم تزوريني مرة من قبل. ولأكن صريحة معكِ أكثر، لا يتعلق الأمر بي شخصياً، لكنني أعتقد أن فتاة تفعل هذا من المستبعد أن تكون دافئة القلب، ولم أكن أرغب لدان أن يتزوج من أمثالها. وكما قلتُ، أدرك الآن وبعد أن عرفتكِ مقدار خطأي.

وسألتها أنجيلا:

ـ لكن.. لو أن دان أخبركِ فجأة، منذ يومين أو ثلاثة، أنه لن يتزوج من بيرنيس، أكنتِ ستتحملين الخبر؟ وتشعرين بالسعادة لعدم إتمام هذا الزواج؟

ضحكت السيدة سايرز:

ـ بما أنكِ قلتِ إنكِ ترغبين بسماع الحقيقة المجردة... ربما كنتُ سأتحمل الخبر يا عزيزتي.. رغم قلقي على دان وانزعاجي إذا رأيته تعيساً. على كل الأحوال أنا سعيدة الآن لأنني اكتشفتُ مدى خطأي، بعد أن عرفتُ حقيقة زوجته ولذا، لن أتخلى عنكِ مقابل أي شيء عزيزتي. فأنت الفتاة المثالية له.. وأنا سعيدة بهذا الزواج.

إلا أن أنجيلا قررت وضع حد لهذه المسرحية:

ـ سيدة سايرز.. ليس من حقي في الواقع أن أقول لكِ هذا وأتحمل المسؤولية وحدي.. لكنني أمل أن يسامحني دان... كان من الممكن أن يأتيك دان منذ يومين ليقول لكِ إنه لن يتزوج بيرنيس... وهذا ما حدث بالضبط. فقد رفضتْ الزواج منه.

قطبت العجوز حاجبيها قائلة:

ـ لكنك تزوجته حبيبتي، وها أنت تبرهنين على أنكِ أفضل «كنة».

هزت أنجيلا رأسها وقالت بحزم:

ـ لا... أنا لستُ بيرنيس... أنا ابنة خالتها أنجيلا.. وأنا لست متزوجة من دان...

ـ أوه.. يا عزيزتي..

ويبدو أن السيدة سايرز لم تتفاجأ كثيراً بما سمعته، فحدّقت بأنجيلا طويلاً ثم قالت:

ـ كم أنا غبية! كان يجب أن أعرف هذا منذ البداية.

ـ لم يكن لديكِ مجال لمعرفة ذلك.. لقد بدا الوضع وكأنه طبيعي.

ـ ما أعنيه، أنه كان عليّ معرفة أنك لا يمكن، ولا بأي ظرف من الظروف، أن تكوني بيرنيس تلك الفتاة التي سمعتُ عنها في الأشهر الأخيرة.

ابتسمت أنجيلا بريبة:

ـ لكن.. بكل تأكيد لم يقل دان سوى أشياء جميلة عن بيرنيس.

ـ طبعاً.. لكن ما لا يقوله الرجل عادةً هو الأهم.

فضحكت أنجيلا على الرغم منها:

ـ أرجوك، لا تأخذي صورة خاطئة عن بيرنيس. أعلم أنك تشعرين بالنفور نحوها الآن، لكنها فتاة طيبة.. حقاً...

ضغطت السيدة سايرز على شفتيها بشدّة، ولم تُجبْ، وعرفت أنجيلا من أين ورث دان هذا الوجه الغريب الصارم الذي لا يلين.. فاستطردت أنجيلا قائلة:

ـ حسناً.. ليس هذا وقت وصف حسن أخلاق بيرنيس.. لكنني أعرف ابنة خالتي جيداً، وبالرغم من كل شيء، أحبها حقاً. أعلم أنها غير مسؤولة ومتهورة وأحياناً قاسية لعدم اهتمامها وقلة تفكيرها بعواطف الناس، لكنها ليست سيئة سيدة سايرز.. وهي قادرة على

القيام بأعمال جيدة وخيّرة.

ـ أنتِ كريمة الأخلاق يا عزيزتي.

ـ كريمة الأخلاق..؟ أوه.. لستُ أدري.. فأنا لا أجد سبباً يدعوني لكراهية بيرنيس أو لوصفها بغير الحقيقة.

ـ أواثقة من هذا؟

ـ طبعاً.

ـ وما الذي دفعك للقبول بهذا أنجيلا؟

ـ كنتُ آسفة لأجلك و...

أوقفتها السيدة مبتسمة وأمسكت بيدها:

ـ هذا لطف منكِ يا ابنتي.. لكنكِ لم تكوني على معرفة بي من قبل ويبدو لي أنكِ على الأرجح... مغرمة بدان!

فتحت أنجيلا فمها مذهولة، وحدقت بالعجوز صامتة.. ولم تستطع الإنكار واكتفت بالقول:

ـ ولكنه لا يعرف شيئاً.. أتعلمين هذا؟

ـ أوه.. طبعاً.

ـ ولن تعطيه فكرة، أليس كذلك؟

ـ مرة أخرى طبعاً.

فتنهدت أنجيلا.. ثم قالت بابتسامة مرتجفة رغم أنها شعرت بارتياح:

ـ أوه... غرضي الوحيد من مجيئي إلى هنا كان توفير الراحة لكِ.. ولكن كل ما فعلته أنني أفرغتُ كل مشاكلي أمامكِ... بما فيها مشكلة لا يعرفها سوانا.

جذبت السيدة سايرز أنجيلا إليها وقبّلتها ثم قالت لها مطمئنة:

ـ ليس لديك فكرة كم جعلني هذا مسرورة ومهتمة يا عزيزتي.. وأرجوكِ أن لا تُصدقي أو تتألمي إذا قلتُ لكِ إنني تمنيتُ قبل أن أموت توضيح كل ما يجري من حولي.

ـ أوه سيدة سايرز! إن شاء الله ستتعافين.

ـ أعني ما أقول.. فحالة المرء النفسية لها ترابط وثيق بفرص ونسبة شفائه خاصة بعد عملية من هذا النوع... دان يظنني رقيقة ومرهفة، ومحتاجة إلى إحاطة دائمة بالرعاية والعطف، ولن أقول إنني لستُ كذلك أحياناً. لكنني أستطيع البقاء حية من دون هذا. وأحياناً أكون أفضل من دونه. أتفهمين؟ عزيزتي؟

تأثرت أنجيلا، فمالت إلى السيدة سايرز تقبلها:

ـ أنت فعلاً سيدة لطيفة ورقيقة! ويبدو لي أن خداعنا المتعمد لصالحك هو مجرد سخافة، لا داعي لها.

ـ يا عزيزتي أنا لست غاضبة من هذا الخداع، وإلاّ لما عرفتك، وكما قلتُ لكِ لن أتخلى عنكِ لأي شيء في الدنيا عزيزتي.

ضحكت أنجيلا:

ـ لطف كبير منك، وبالطبع هو شعور متبادل.. لكن ما يقلقني الآن.. هو.. كيف سنبلّغ دان؟ أظن أنني أسمع وقع أقدامه.

ـ سيكون الأمر سهلاً.. ولن أوفر عليه الصدمة.

حين سمعتا دق الباب قالت السيدة سايرز:

ـ ادخل حبيبي.. أنجيلا كانت تقص عليّ لتوها فكرتك هذه.

ـ أنجيلا...!

بدت على دان الصدمة الحقيقية ونظر إلى أنجيلا بغضب ظاهر، فتصدت له أمه قائلة:

ـ لا داعي للنظر إلى عزيزتي هكذا دان. فلقد خمّنتُ معظم القصة.. ويجب القول بنيّ، إن الشيء الوحيد الذي أعتبُ عليك فيه هو تفكيرك بأنني حمقاء ولن أشك بأي شيء.

ـ أمي.. أنتِ حقاً إنسانة لا يمكن معرفة أعماق نفسها.

ثم جلس إلى حافة السرير مبتسماً، مرتاحاً و.. محتجاً. فقالت أمه:

ـ أتعني أنك كنت تتوقع مني العويل والبكاء. ألا تعرفني دان أنني

أقوى من هذا؟

ـ لكني رأيتك تبكين من قبل أمي...

ـ رأيتني أبكي.. لكن حين لا يعود في اليد حيلة.

ـ حسناً ولكني لست مقتنعاً أن الأمر لم يكن قاسياً عليكِ. لم أكن أتصور أنك ستتلقين الخبر بهدوء ودون استياء أو صدمة.

ـ حبيبي.. لا تظن أبداً أنني أخذت الأمر بسهولة، على الأقل لن آخذ أمر سعادتك بهذه السهولة مطلقاً. لكنني أحاول أن أكون متعقلة، والأمران مختلفان.

ـ أليس هناك أشياء لا يمكن للمرء أخذها بتعقل؟

ـ أجل.. هذا صحيح.. لكن بوجود هذه الفتاة العزيزة اختلف الأمر. لقد خففت عني الصدمة كثيراً.

ـ أنجيلا؟ أوه بالطبع.. لقد كنتِ رائعة في دورك يا أنجيلا. شكراً لكِ.

ـ أنا سعيدة للمساعدة دان، والآن.. سأترككما وأذهب لتوضيب حقيبتي...

فصاحت السيدة بلهجة احتجاج:

ـ توضبين حقيبتك عزيزتي؟ وهل أنت مضطرة لتركنا بهذه السرعة؟

ـ حسناً.. فلم يعد هناك سبب لـ...

ـ كلام هراء! لا نريدكِ أن تذهبي الآن أنجيلا.. ليس من داعٍ للعجلة.

لذهولها كان هذا كلام دان وكم تمنت أن تسأله عن دوافعه لرغبته في بقائها.. لكنها لم تستطع سوى أن تبتسم وتقول:

ـ إذا أردتم بقائي، وكنتم بحاجة لي، سأكون سعيدة في البقاء لبضعة أيام. على الأقل إلى حين ذهاب السيدة سايرز إلى المستشفى.

فرد دان بحزم:

ـ اتفقنا إذن.

ثم استدار ليكلّم أمه، فخرجت أنجيلا من الغرفة ونزلت إلى الطابق الأرضي. ثم خرجت إلى الحديقة، تتمشى وهي تفكر: كم أنا سخيفة، فأنا لا أعني شيئاً له!.. لكن شيئاً ما في داخلها يصرّ على تفكيرها، أنه لا بد أن يأتي يوم تعني له شيئاً فيه.

في الطرف البعيد للحديقة، قرب مشتل الخضار شاهدت أنجيلا ستيلا تقطف اللوبياء دون تركيز، مما يُظهرها متوترة وتعيسة. فترددت أنجيلا قليلاً ثم توجهت نحوها، وبدأت تقطف اللوبياء بدورها، ودخلت الموضوع على الفور:

ـ ستيلا أمك عرفت كل شيء عني وعن بيرنيس.. ولم تنصدم أو تتأذى كما كنا نخشى.

توقفت يدا ستيلا عن العمل، لكنها لم ترفع رأسها:

ـ ومن قال لها؟

ـ أنا.

ـ لماذا؟ ألأنكِ كنتِ خائفة أن أفضح السر؟ ما كنتُ سأفعل! ودان يعرف هذا. يعرف أنني لن أخون ثقته.. لقد أعطيته وعداً.

ـ أعرف هذا، ولا يمكن تحميلك أية مسؤولية.. لكن والدتك كانت تشك بشيء غامض بيننا. خاصة أنني لم أتناسب مع فكرتها السابقة عن بيرنيس وطرحت عليّ عدة أسئلة، وأظهرت التعقل والتفهم حتى بدا كل الأمر سخيفاً وغير منطقي.. فأخبرتها الحقيقة.

ـ كان الأفضل لكِ فعل هذا منذ البداية.

ـ ربما.. لكن كما قالت أمك بنفسها، كان هذا تحضيراً لها لتخفيف الصدمة عليها. ونحن لم نتصرف عن سوء نية وأنتِ تدركين ذلك تماماً ستيلا.

عادت ستيلا لقطاف اللوبياء ثم سألت:

ـ كم ستبقين هنا؟

ـ إلى أن تدخل أمك المستشفى. بضعة أيام أخرى.. هذا ما طُلِبَ

مني.

ـ طلبته أمي؟

ـ أجل.

ـ وماذا عن دان؟ ماذا قال؟

ـ وافق أمكَ، وكرّر دعوتي للبقاء.

ضحكت ستيلا بسخرية ثم حملت سلّتها لتدخل المنزل تاركة أنجيلا تنظر إليها بذهول وقد أدركت أنها لم تحسّن وضعها أمام ستيلا.

خلال الأيام التي تلت، وجدت أنجيلا أن عدائية ستيلا المستمرة، لم تكن دون حسنات. فهي أولاً لفتت نظر دان حيث دفعته عدائية أخته للسعي لإظهار المزيد من الاهتمام والصداقة الشخصية لأنجيلا أكثر مما يمكن أن يفعل عادة. ومع أنها لم تعد الرفيقة المتآمرة معه من أجل صحة أمه ليستشيرها عند كل لحظة إلا أنها لا زالت موضع اهتمامه، حيث يسعى بجهد لتخفيف انزعاجها من تصرفات ستيلا. ووجدت أنجيلا نفسها تبعاً لهذا الرفيقة الطبيعية له خلال نهاية الأسبوع.

ليلة السبت توترت أعصاب الجميع لقرب موعد دخول الأم إلى المستشفى، وتقدم دان من أنجيلا قائلاً دون مقدمات:

ـ أنا سعيد لبقائك هنا أنجيلا. ولا أود التفكير بما كان سيكون عليه هذا الأسبوع لولا وجودك.

ـ وأنا كذلك سعيدة لتقديمي المساعدة.. وأتمنى أن تبلغني عن صحة الوالدة بعد إجراء العملية. ألن تفعل دان؟

ـ طبعاً، وكم كنتُ أتمنى لو تبقين طوال الأسبوع القادم.

ـ الأمر مستحيل...

ـ لديَّ رقم هاتفك.. ولا أظن أنه سيكون هناك أخبارٌ مهمة يوم الاثنين، فلن يجروا لها العملية قبل الثلاثاء.

ـ إذن حاول الاتصال بي مساء الثلاثاء.

ـ طبعاً. سأفعل.

في اليوم التالي تأخر خروج السيدة سايرز إلى بعد الظهر.. وأمضت أنجيلا وقتاً طويلاً معها، تحدثتا خلاله بمرح عن المستقبل وكأنه مستقبل مشترك وآخر ما قالته السيدة لأنجيلا قبل أن تُحمل إلى سيارة الإسعاف:

ـ أتمنى أن أراكِ كثيراً يا عزيزتي.. بعد أن أستعيد عافيتي.

رافقت ستيلا أمها إلى المستشفى، وودعت أنجيلا دان، لتستقل التاكسي الذي طلبه لها إلى شقتها، وقد صممت على وضع حقيبتها في الشقة ثم الخروج لتناول العشاء، فالوقت متأخر لشراء ما يلزم للطهو في المنزل.

وهي تصعد السلم إلى الطابق الأول حيث شقتها، سمعت من ينادي باسمها، فاستدارت، لترى أن مديرة المنزل خرجت من باب منزلها قائلة:

ـ أوه، آنسة ماكلاود.. مسرورة لرجوعك... أتمنى أن لا أكون أخطأت في إدخال الشابة إلى شقتك؟ ترددت كثيراً، لأنني لا أعرفها. لكنها بدت تعرفك جيداً وتعرف الكثير عنكِ، وقالت إنك تتوقعين حضورها.

ـ شابة...؟ أوه.. وكم بقيت؟

ـ إنها لا زالت هنا الآن آنسة ماكلاود.. لقد وصلت منذ ساعة فقط.

ـ هكذا إذن.. سأصعد لأراها.. لا تقلقي.

وركضت أنجيلا مكمّلة صعود الدرج بسرعة... يدها كانت ثابتة جداً وهي تضع المفتاح في القفل، لكنها أحست بالارتجاف قليلاً وهي تضع حقيبتها في الردهة وتدخل الباب المفتوح إلى غرفة جلوسها الصغيرة.

كل شيء كان هادئاً هناك، لا شيء في غير مكانه.. ما عدا قرب المدفأة الكهربائية المشتعلة بطريقة دافئة، لقد كانت بيرنيس تنام على

المقعد، شعرها مشعث فوق الوسادة، والإرهاق بادٍ على وجهها الشاحب بطريقة غير طبيعية.

***

٥ ـ اتركي لي حبيبك!

وقفت أنجيلا دقيقة كاملة تتأمل ابنة خالتها: بريئة، قلقة، تنام هادئة. لكنها، تشكّل تهديداً لسعادة أنجيلا الوليدة، مما أشعرها بالخوف من التقدم لإيقاظها، وخوفها الأكبر مما تقوله لها بيرنيس.

لو أن خطة بيرنيس نجحت كما يجب، ما كانت أتت لرؤية أنجيلا، أو أي شخص آخر. لكن من المؤكد أنها فشلت، ولذا جاءت إلى هنا طلباً للمساعدة كعادتها. بغضب وخوف، وجدت أنجيلا نفسها تطرح عشرات الأسئلة منها السخيف ومنها المعقول، وهي ما تزال واقفة تراقب وجه بيرنيس النائمة. وقلبها يضج بالاحتجاج على عودة بيرنيس، والتي ستكون السبب بموت اهتمام دان الغالي على قلبها، ميتة طبيعية.

فجأة، وكأن بيرنيس أحست بوجود أنجيلا، فتنهدت وفتحت عينيها ثم جلست.

ـ أوه.. أنجيلا! كم أنا سعيدة لرؤيتك! لم أكن أعرف ماذا سأفعل لو لم تحضري؟

دون اعتذار، دون تفسير.. مجرد تعبير عن الشكر لأن حضور أنجيلا وافق هواها، فردت عليها أنجيلا بلهجة قاسية لم تستخدمها معها من قبل:

ـ يبدو لي أنك دبرتِ أمرك بشكل جيد.. لماذا قلت لمدبرة المنزل إنني أتوقع قدومك؟

ـ أوه.. ؟ حسناً لم تكن ستسمح لي بالدخول لو لم أقل لها هذا. أليس كذلك؟

ـ صحيح..

نظرت إليها بيرنيس ببراءة:

ـ أنجيلا، هل أنت غاضبة لمجيئي إليك؟

جلست أنجيلا قبالة ابنة خالتها تتفرس بها:

ـ لست غاضبة لمجيئك إلى هنا.. إذا كنت بحاجة إلى.. مكان تلجأين إليه.. لكن لا تتوقعي عدم تأثري بالفوضى التي خلقتيها بعد رحيلك المفاجيء.

ـ لكن هذا لا يؤثر عليك.. أليس كذلك؟

طبعاً.. من وجهة نظر بيرنيس كانت أنجيلا مجرد متفرجة على الدراما التي حصلت. وربما أحرجتها بعض الشيء ولكن لا داعي لتأثر أنجيلا بكل ما حصل في نظر بيرنيس... وأجابت أنجيلا:

ـ لقد عينت لي دوراً محرجاً فيما فعلت، ألا تدركين هذا؟

ـ أجل.. أعرف.. وأنا آسفة.. لكن ما عساي كنتُ أفعل غير هذا؟

ـ ماذا جاء بك إلى هنا بيرنيس؟

ردت بخشونة وارتباك:

ـ كل شيء سار بطريقة مغلوطة. كل شيء تماما يا أنجيلا.. أليس لديك طعام هنا؟ أنا.. أنا جائعة.

لم تدر أنجيلا ما إذا كانت الغصة في صوت بيرنيس حقيقيّة أم مزيّفة، لكنها اكتشفت أنها لا زالت تحبها، وعادة الغفران متأصلة فيها:

ـ يا إلهي.. ليس الكثير فأنا غائبة عن الشقة منذ أسابيع وتعرفين هذا.

ـ هل جئت لتوك من يونيكا؟

ـ لا.. كنت مقيمة في مكان آخر... سأخبرك القصة لاحقاً...

والآن أظن من الأفضل أن نخرج لنأكل، فهذا ما كنت سأفعله على أي حال..

ـ ليس معي نقود.

ـ لا بأس لدي ما يكفي.

لم تكن أنجيلا ترغب في التفكير ببيرنيس المدلّلة غير المسؤولة، وهي الآن وحيدة ومن دون مال، خائفة من عدم وصول ابنة خالتها لتنقذها... يا إلهي، كم هو صعب التأرجح بين الإشفاق والسخط وهذا الخوف الرهيب على من تحب!

رغم كل هذا استطاعت أنجيلا السيطرة على نفسها وفضولها، دون أن تتخلص من الخوف مما قد تسمعه من بيرنيس وما يترتب عليه من نتائج ستؤثر سلباً على سعادتها فلم تتحدث بشيء مع بيرنيس أثناء العشاء.

وهما تحتسيان القهوة، بادرت أنجيلا بالسؤال:

ـ والآن ألن تشرحي لي ما حدث، بيرنيس؟

ـ أجل.. لقد تركت بارني.. ولا أريد رؤيته ثانية.

تنفست أنجيلا عميقاً.. لو شاهدها أي إنسان لعرف مدى تأثرها وخوفها.

ـ أتعنين.. أنك لم تتزوجيه... أو...

ـ أوه.. لا! لا! لم أتزوجه.. شكراً لله!

ـ لكن في هذه الحالة.. ماذا فعلت؟

ـ لم أقبل العيش معه، إذا كان هذا ما تعنينه، فأنا لست من هذا النوع. وبالتأكيد تعرفين هذا.

ـ وماذا حدث؟

ـ لقد تخاصمنا على الفور تقريباً، حول هذه المسألة... يبدو أن هناك إجراءات رسمية، منعتنا من الزواج الفوري. وأراد بارني أن نعيش معاً دون انتظار، فلم أقبل. وجن جنونه.. وقال لي إنه سيضيع ماله

سدىً لو أقمتُ لوحدي في الفندق في وقت يمكن أن أقيم معه في شقته.. وهذا ما جعلني أعيد التفكير، فأنا لا أحب الرجل الذي يفكر بالمال في الوقت الذي يقول فيه إنه يحبني بجنون وهكذا أخذني إلى فندق قذر لا يليق بي، فتشاجرنا و...

ـ لكن ألم يكن بإمكانك الاختيار والإقامة في فندق أفضل وتدفعين أنت الإيجار فلا بد أن يكون معك مالك الخاص؟ أم أنك بذّرت كل المال كالعادة؟

ـ أوه هذا أمر آخر خلق لنا المصاعب.. فأنا لم أمتلك يوماً مالاً خاصاً بي، فوالدي لم يوافق على وضع مال باسمي في المصرف، لسبب أو لآخر. كل ما لديَّ من مال كنت أضعه في مكتب البريد إلا أنني نسيتُ الدفتر أثناء رحيلي وهكذا وجدت نفسي لا أملك سوى بضعة دولارات. وقد أبدى بارني انزعاجه للأمر.

تمنت أنجيلا فجأة، وبقليل من الخبث، لو أنها استطاعت أن ترى بيرنيس العنيدة وهي تواجه الخداع مع من بدا واضحاً أنه زير نساء ونصاب. وأكملت بيرنيس:

ـ وفجأة قال إنه مسافر في عمل إلى لوس أنجيلوس، وإنني إذا لم أسافر معه فقد انتهى كل ما بيننا.. عندها عرفت أنه لم يكن ينوي الزواج بي.. فهو يعرف أنه سيسافر.. وجن جنوني، أكثر مما يمكن أن يُجن هو، إذ أدركت أنه خدعني. وهذا أمر صعب، خاصة إذا كانت الفتاة تحب الرجل.

ـ هذا صحيح.. ولكن متى حدث هذا؟ وماذا فعلت بعد ذلك؟

ـ كان هذا بالأمس. فقد تشاجرنا كثيراً وقلت له رأيي فيه بصراحة، فخرج.ولم يعد... وفي الصباح أدركتُ أنني لن أستطيع الاستمرار في السكن في الفندق.. فالفاتورة كانت أكبر مما معي من مال.. فتركتُ ساعتي هناك، وجئتُ إليكِ. وكدتُ أبكي حين لم أجدك. إلا أنني شاهدتُ مدبرة المنزل وأخبرتها أنك في انتظاري، مما جعلها تدخلني

شقتك، فقد كنتُ جداً متعبة وبحاجة إلى الراحة. شكراً لك أنجيلا.

فأجابت أنجيلا:

ـ أنا مسرورة لقدومك، ومسرورة أكثر لرجوعي اليوم.. ألم تكتبي بعد لخالتي؟

هزت بيرنيس رأسها:

ـ لم أرغب في الاتصال بهم.. لا مع أمي ولا دان ولا أحد.. إلى أن أراكِ وأعرف كيف جرت الأمور. والآن جاء دوركِ.. أخبريني ماذا حدث بعد رحيلي.

أشارت أنجيلا إلى الساقية قائلة:

ـ أظن من الأفضل أن نعود إلى الشقة وهناك أخبرك كل شيء.

بدت الشقة باردة حين وصلتا، لكن بيرنيس بدت سعيدة بكل شيء:

ـ المكان جميل هنا، لم يكن لديَّ فكرة أنك أسّستِ لنفسك بيتاً مريحاً هكذا.

بعد أن خلعت أنجيلا ملابسها وارتدت ملابس المنزل جلست على مقعد قبالة بيرنيس التي عاجلتها بالقول:

ـ هيا اسرعي أنجيلا.. تكلمي! تجعلينني أتوتر.. أهناك شيء رهيب حصل؟ لا تخفي عني شيئاً. هيا أخبريني كل التفاصيل.

ـ لست أدري ما إذا يمكن أن تسميه بالأمر الرهيب.. والداك وصلا إلى أقصى حد من التكدر والقلق و...

ـ والغضب؟

ـ أجل. لكن ليس بسبب تغيير رأيكِ، بل بسبب الطريقة التي فعلت ذلك بها. أحست خالتي رامونا بالحزن لاضطرارها إلى التفسير والاعتذار. وأظن من الطبيعي أن تغضب وتلومك على فعلتكِ.

ردت بيرنيس بنوع من السذاجة الوقحة:

ـ كنت أنت معها.. وأنا أكيدة أنك ساعدتها للتغلب على حزنها

وقلقها.

ثم استطردت بيرنيس قائلة:

ـ حسناً وبعد ذلك.. ماذا عن دان؟ أهناك صعوبة في أن يسامحني؟

ساد صمت متجهم في الغرفة. أحست أنجيلا كأن الزمن توقف، واجتاحتها قشعريرة باردة رهيبة.. ودُهِشَت لسماع صوتها يقول بوضوح:

ـ وهل تأملين بإعادة الأمور إلى ما كانت عليه مع دان؟

فقالت بيرنيس بكل بساطة:

ـ أفترض هذا، وذلك يتوقف على تصرفاته نحوي.. أكان غاضباً؟

ـ بكل صراحة كان شديد الغضب.. ومن حقه أن يغضب منكِ، فأنت لم تتصرفي بشكل لائق معه لإنهاء الخطوبة.

ـ أوه.. وهل ما زال متأثراً؟ هل رأيته قبل مجيئك؟

ـ وماذا كنتِ تتوقعين؟ لقد جاء إليكِ في اليوم السابق لزواجكما، وكان قلقاً جداً على صحة أمه.

ـ أوه.. صحيح... مسكين دان.. نسيتُ أمه.. كيف حالها؟

تمكنت أنجيلا من ضبط أعصابها أمام هذا الاستهتار:

ـ إنها مريضة بشكل خطير. سيجرون لها عملية في الغد، وكان من الضروري أن لا تصاب بأي صدمة.. وكل ما أرادته هو أن ترى.. زوجة دان، قبل دخول المستشفى. وجاء دان إلى يونيكا ليطلب منك تأجيل شهر العسل والذهاب معه إلى أمه، وباستطاعتك تصور الموقف ومدى صعوبته عندما قلت له: إن الزفاف ألغي لأنك هربت مع رجل آخر:

ـ أوه.. يا عزيزتي..! أنا حقاً آسفة.. لم أكن أعرف أن الأمر سيكون صعباً هكذا لك، ولدان.. لكنني لم أكن أستطيع تخمين ما قد يحصل، حسناً وماذا فعل دان بعد ذلك؟

فأجابت أنجيلا دون اكتراث:

ـ ذهبت معه بدلاً منكِ.

وفتحت بيرنيس فمها الجميل وقد امتلكتها الدهشة:

ـ ماذا تعنين؟ أذهبتِ وقلتِ إنك ابنة خالتي، وإنني...

ـ لا، لا.. أعني أنني رافقتُ دان إلى منزله وقدّمني لأمه وأختِه على أنني أنت...

المفاجأة، الرعب، الذهول، ونوع من الإعجاب طاردوا بعضهم البعض فوق تعابير وجه بيرنيس وهي تصيح:

ـ أنجيلا! كم أنت جريئة! و.. هل نجوت بفعلتك؟

ـ أجل.. لقد نجحنا. لذلك، وفي الوقت الحاضر، مهما كنتِ تنوين فعله لا تجري أي نوع من الاتصال مع دان.

أحست أنجيلا بالخجل حين قالت هذا... لكنها كانت خائفة.. وقد وجدت أن هذه هي الطريقة المثلى للتأكد من عدم حدوث كارثة.. وسيكون لديها الآن الوقت الكافي لتفكر بالموقف... وما تستطيع فعله وما يمكن أن يكون معقولاً، لتقرير ما هو الأفضل لدان. وبالتالي لمعرفة ما إذا كانت مشاعر بيرنيس نحو دان حقيقية وعميقة، أم أنها لا تستحق حتى التفكير في إيجاد حل سعيد وعادل لهذه المعضلة.

ثم أخذت أنجيلا تجادل نفسها: لكن ليس هناك شيء في أساسه غير عادل وليس من الضروري تداعي الجميع لطمأنة بيرنيس ومسامحتها والغفران لها ساعة تنادي أنها أخطأت.

لكن، ما من شيء من هذه المجادلة الداخلية أراح بال أنجيلا، وعلمت السبب حين سألتها بيرنيس:

ـ وهل تقبلتك أمه وأخته دون سؤال أو ريبة؟

هنا، جاءت لحظة الاختبار.. اللحظة التي ستضطر فيها للتقرير إلى أي حد هي مستعدة للدفاع عن تمسكها بدان.. وهل هذا يعني أن تكذب، وهل هي مستعدة للكذب، وتبرّر ذلك لنفسها على أساس أن

بيرنيس لا تستأهل معاملة أفضل؟ وأجابت:

ـ ولماذا تساورهما الريبة؟ قدّمني دان لهما على أنني أنتِ.. وهما لم تشاهداك من قبل.

عضت بيرنيس شفتها مفكّرة:

ـ أجل... طبعاً.. وكم أقمتِ هناك؟

ـ رحلت اليوم، بعد ذهاب والدته إلى المستشفى.

استدارت عينا بيرنيس فجأة، وسألتها بدهشة:

ـ أقمتِ هناك عدة أيام كزوجة لدان؟

ـ طبعاً.

ـ يا إلهي أنجيلا! لم أكن لأظن أنكِ قد تضعين نفسك في مثل هذا الموقف من أجلي لا بد أنك تحبينني كثيراً شكراً لك.

شهقت أنجيلا.. وقالت:

ـ في الحقيقة... أنا أحبك كثيراً... لكنني لم أفعل هذا من أجلكِ.

ـ لا؟ من أجل من إذن؟

ـ من أجل السيدة سايرز بالطبع.

ـ لكنك لم تكوني تعرفينها حينها. أعني قبل ذهابك إلى هناك...

ـ بيرنيس.. لست مضطرة لمعرفة شخص ما قبل أن تقرري مساعدته وإعطاؤه فرصة لاستعادة عافيته... خاصة وأن امتناعكِ قد يعني موته.

ـ صحيح.. فهمتُ ما تعنين. لم أفكر بالأمر هكذا.. لكن هذا كثير بالنسبة لفتاة... دور زوجة رجل ووضع نفسكِ في موقف خطير. أنا مندهشة لجرأة دان في الطلب منكِ تمثيل هذا الدور. ولطالما ظننتك... مستقيمة ولست أبداً مستهترة!

فأجابت أنجيلا مستنكرة:

ـ أنا لست مستهترة! فأنا لم أقبل بالمهمة بطريقة مستهترة.

ـ حسناً، أقول إنك قبلتِ بالمهمة إرضاءاً لدان.. وأظن أنَّ معك حق بأن لا أتصل به الآن. ولا فائدة من إفساد ما فعلتماه معاً لأجل تغطية غلطتي.

ـ هذا صحيح.

ـ لكنني أريده أن يعرف بأسرع وقت ممكن أن بارني أصبح من الماضي... وستشرحين له هذا.. ألن تفعلي أنجيلا؟

ـ أنا؟

ـ طبعاً.. ألن تشاهديه قريباً؟ أين هو الآن في منزله أم في منزل والدته؟

ـ أظنه سيقيم في منزل والدته إلى أن يزول الخطر عنها.

ـ أو تموت.

صاحت بها أنجيلا بغضب:

ـ لن تموت!

ـ ألن تموت؟ أوه أنا مسرورة. ظننتك قلت إن حالتها خطِرة.

ـ ولا يزال هناك خطر عليها لكن ما عنيته أنني لن أستطيع تحمل موتها.

بدا على بيرنيس الشفقة:

ـ آسفة، لم أعرف أنك أحببتها في مثل هذا الوقت القصير، وأنا مندهشة لماذا لم تستمري بالإقامة هناك..؟ كيف شرحتما الأمر لشقيقته؟ ألم تحس بالغرابة لترككِ زوجك بعد أيام من زواجكما؟

جف فم أنجيلا ذعراً ثم قالت:

ـ ادّعيت أسباباً عائلية طارئة.

فابتسمت بيرنيس وقالت بمرح وغباء:

ـ كنت تعرفين أنني سأكون السبب الطارىء؟

ـ بالطبع لا.

ثم وقفت بحدة قائلة:

ـ أظن من الأفضل أن ننام الآن، فأنا متعبة ومتأكدة أنكِ هكذا كذلك. بإمكاننا متابعة الحديث في الغد... حول الكتابة إلى خالتي رامونا وكل شيء.

بينما بيرنيس تنام براحة فوق الصوفا المريحة.. استلقت أنجيلا في فراشها دون نوم تفكر بالظروف الممكنة للقائها التالي مع دان. إنها الآن تتوق وتخشى لقاءه في آن واحد... وعليها أن تقرر نهائياً إذا كانت ستخبره عن بيرنيس، أو ما إذا كانت ستخفي خبرها عنه.

هل هذا من مفارقات القدر، أن تكون عليها، وعليها وحدها ستقع مسؤولية القرار في إعادة المياه إلى مجاريها بين دان وبيرنيس... هل ستحاول هذا؟ وهل باستطاعتها ذلك؟

من وجهة نظر موضوعية، إذا كان شخص متورطاً بعمق مثلها واستطاع التفكير بروية، لتساءل: ألم يكن دان محظوظاً في خلاصه من بيرنيس حين هربت منه؟ فرغم كل فتنتها وميزاتها المحببة الأخرى، إلا أن أحداً لا يستطيع الإنكار أنها ليست أكثر من فتاة سطحية غير مستقرة. ثم إن أي إنسان يحاول جمعهما معاً مرة أخرى فهو بذلك يقدم الإساءة لدان وإن بطريقة غير مباشرة.

من ناحية أخرى، وبتجرد، أيحق لأي إنسان كتم الوقائع أو تغييرها قليلاً على أساس أن الشخص الآخر لا يعرف ما هو الأفضل له؟

بالطبع لا... وبنفس القدر، مستحيل المجادلة في مثل هذه الأمور على أساس الصح والخطأ، فلطالما توصلت أنجيلا إلى قناعة بأنها لن تتحمل مطلقاً رؤية دان وهو واقع في شباك بيرنيس مرة أخرى... وليست واثقة الآن أنها يمكن أن تتحمل إعطاء بيرنيس فرصة أخرى لإيقاعه من جديد بعد خلاصه منها.

بعد ليلة مضطربة وقلقة، استفاقت أنجيلا باكراً. ولأنها لم تعد تستطيع الاستلقاء في السرير أكثر من هذا، دون البدء في التفكير ثانية، قامت وكان عليها السير على أطراف أصابعها في الشقة.. وهذه تجربة

جديدة بالنسبة لمكان تألفه وتعرفه وتملكه، لكنها مضطرة لذلك بعد غزو بيرنيس لحياتها.

دخلت المطبخ لتتفحص المونة، ثم قررت استعارة بعض الحليب والخبز من مدبرة المنزل، التي كانت معتادة على مثل هذه الطلبات من السكان، وأحضرت لها مدبرة المنزل زجاجة حليب ورغيف خبز أسمر، ثم سألتها:

ـ أكان ما فعلته مناسباً حول الشابة التي أدخلتها شقتكِ آنسة ماكلاود؟

ـ مناسب تماماً. إنها ابنة خالتي وسررتُ جداً لرؤيتها.

ـ عظيم.. ستكون خير رفيقة لكِ.. وكم ستبقى؟

ـ لست أدري بالفعل.

تركتها أنجيلا مبتسمة لتصعد إلى شقتها مفكرة: صحيح... كم ستبقى بيرنيس معي؟ وكيف سيؤثر وجودها على سير الأمور؟

عند الباب، كان ساعي البريد قد لحق بها ليعطيها رسالتين، نظرت إليهما متوازنتين فوق الرغيف، أحدهما كان إعلاناً دورياً، والآخر رسالة من المكتب الذي تعمل فيه.

خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، لم تفكر كثيراً بمستقبلها العملي.. لكنها أحست بتوتر مفاجيء كان بغيضاً بشكل غير معقول.

وضعت الأغراض على الطاولة في المطبخ، وفتحت الرسالة.. كانت قصيرة.. ومركزة جداً على الموضوع:

«الآنسة أنجيلا ماكلاود المحترمة

«نحن آسفون جداً، فنظراً لإعادة تنظيم المكتب، نجد أننا مضطرون إلى تخفيض عدد من الموظفين. وكان صعباً تحديد عدد من سنصرفهم من العمل، لكن بعد بحث دقيق لسنوات خدمتك وما إلى ذلك، اضطررنا لضمكِ إلى العدد المصروف من الخدمة. وستجدين مع هذه الرسالة شيكاً بمستحقاتك. وإذا رغبتِ الطلب إلينا تحرير كتاب

توصية، سنكون طبعاً مسرورين لتوفيره لك في أي وقت ترغبين به...

المخلص: جون رومر»

* * *

٦ ـ تدافع عن سعادتها

طوت أنجيلا الرسالة ببطء، ولم تكن أكثر مما توقعت. ففي الواقع كانت الرسالة لبقة وكلماتها لطيفة، فأي شخص يمكن أن يقرأ هذه الرسالة، سيعتقد أن السيد رومر يصرفها من الخدمة وهو آسف، دون أي خطأ منها.

من الممكن أن يكون هناك إعادة تنظيم.. ومن الممكن أن بعض الموظفين يجب صرفهم. لكن لولا رؤية السيد رومر لأنجيلا في منزل السيدة سايرز، والدة دان، ومعرفته بحقيقة ما قامت به، لما كانت في عداد الموظفين المصروفين من المؤسسة.

حسناً، حاولت إقناع نفسها بمرح.! الأمر ليس مأساة، فهناك وظائف أخرى، فهي كفوءة وذات خبرة.. لكنها كانت تكره التفكير أنها صُرِفت من العمل لمجرد أن مخدومها لم تعجبه تصرفاتها في حياتها الخاصة.

الضمير المرتاح أمر رائع.. لكن رأي الزملاء الجيد في الشخص أمر رائع كذلك، وفقدان رأي السيد رومر الجيد فيها آلمها أكثر مما توقعت.

كانت لا تزال تقف في المطبخ تشد على الرسالة مفكرة حين انفتح باب غرفة الجلوس وخرجت منه بيرنيس في ثوب نوم فائق الأناقة:

ـ مرحباً أنجيلا! لقد أمضيتُ ليلة رائعة. أعتقد أن السبب هو تخلصي من نصف ما يقلقني ليلة أمس.

وضحكت مرحة، ثم لاحظت الرسالة في يد أنجيلا:

ـ ممن هذه الرسالة؟ هل فيها شيء عني؟

ـ لا.. لا شيء فيها عنك.

ـ لكنها... أزعجتك، أليس كذلك؟

ـ ليست جيدة.. إنها من السيد رومر، رب عملي.. قال إنه يريد إعادة تنظيم المكتب وتخفيض عدد الموظفين، ولذا لن يحتاج عودتي إلى العمل.

ـ هذه ضربة موجعة، أليس كذلك؟ أتعنين أنك أصبحت عاطلة عن العمل؟

ـ أجل.. مؤقتاً... سأبدأ التفتيش عن عمل آخر في أسرع وقت ممكن.

ـ وهل هذا.. أمر صعب؟

ـ لست قلقة على وجبة الطعام التالية إذا كان هذا ما تعنين.. لكن ما من أحد يعجبه فقدان وظيفته فجأة، ومن الأفضل أن أخرج وأسجل اسمي في وكالات التوظيف هذا الصباح.

ـ فكرة رائعة.. سآتي معك لأفعل الشيء نفسه.

ـ أنتِ؟

ـ أجل.. لن أستطيع العيش عالة عليك. يجب أن أحصل على وظيفة ما.

ـ لكن.. هل تنوين الإقامة في نيويورك بيرنيس؟ لم أكن أدرك أنك تفكرين بهذا.

ـ لم أكن أفكر بهذا قبل إعادة تفكيري بالأمور ليلة أمس. إلاّ أنني لا أستطيع العودة إلى يونيكا.. في الوقت الحاضر، أي ليس قبل أن تموت الشائعات، وينطفىء غضب أمي وأبي.

ـ حسناً، لكن أظن أن عليك الكتابة لخالتي رامونا قبل أن تقرري البقاء هنا. فإذا رغب والداك في عودتك، عليك الذهاب. لقد سببتِ ما

يكفي من متاعب لهما، وأنتِ مدينة لهما بقليل من التفكير براحتهما الآن.

أخذت بيرنيس تعض شفتها السفلى وكأنها بالفعل تفكّر، مع أن أنجيلا تعرف تماماً العكس، ثم قالت:

ـ أعرف تماماً ما تعنين يا أنجيلا.. وقد يكون معك حق، لكنني لا أستطيع العودة الآن. ليس قبل أن تتاح لي فرصة تسوية الأمور مع دان ثانية.

تابعت أنجيلا ما كانت تقوم به دون أن يظهر أي تأثر على صوتها:

ـ لكن، لماذا لا تعودين إلى بيتك أولاً بدلاً من انتظارك مناسبة للاتصال بدان... أعني: أمك وأباك سيشعران بالراحة فعلاً لو كنتِ معهما... وشرحتِ لهما الحقيقة. ثم تقولين لهما إنك تريدين العيش في نيويورك لفترة إذا كان هذا حقاً ما تريدين.. وأنا واثقة أنهما سيوافقان على رغبتك.

ـ وقد لا يوافقان.. ولا أريد أن أضطر إلى الهرب ثانية.

ففضحكت أنجيلا وقد أدركت أن لا مجال لإقناع بيرنيس بالعودة إلى يونيكا:

ـ حسناً، كما تريدين. لكن نصيحتي أن لا ترتبطي سوى بعمل مؤقت.. فقد تحسين برغبة للركض إلى منزلك قبل نهاية الشهر.

ـ سأذهب معك اليوم لأرى كيف تجري الأمور.

لكن ما يقلق أنجيلا الآن، وهو الأهم في الوقت الحاضر، أن دان سيتصل بها باكراً عند المساء. وبكل بساطة لا تريد أن تكون بيرنيس موجودة حين يتصل.. وأخذ هذا التفكير يكبر حتى سدّ المنافذ على أي تفكير آخر في ذهنها...

بعد عودتهما من مكاتب العمل.. تناولتا الغداء.. وبعد الشاي مباشرة قدمت بيرنيس لها الحل على طبق من فضة:

ـ أنجيلا.. أكره أن أطلب منك شيئاً، خاصةً بعد لطفك معي..

لكن هل باستطاعتك إقراضي خمسين دولاراً، لأسوي حساب الفندق وأستعيد ساعتي.

في تلك اللحظة كانت أنجيلا مستعدة لإقراضها مئة دولار لتبتعد عن الشقة.. وفي اللحظة التي أقفلت بيرنيس الباب وراءها، سارعت أنجيلا لتتصل بدان.

لم يكن بينهما موعد فقد قال لها، إنه هو من سيتصل بها.. لكن الأمور الآن مختلفة، وكل ما يقلقها الآن عدم وجوده في المنزل.. حين سمعت صوت رفع السماعة من الجانب الآخر، حبست أنفاسها للحظة قبل أن تسمع صوت دان:

ـ آلو؟.

ـ دان! أنا أنجيلا. اضطررت للاتصال بك...

ـ أوه.. كم أنا سعيد لسماع صوتك! لا تقلقي، لقد انتهت العملية بنجاح، وحتى الآن الأمور جيدة. كنت سأتصل بكِ قبل اتصالك.

ـ أوه.. كم أنا مسرورة!

ـ أنجيلا، مما يساعدني كثيراً إحساسي بأن مشاعرك معي.. معنا... ومن الصعب وصف مثل هذه الأمور في كلمات.. لكنك تعرفين تماماً كم أنا شاكر لك.. أليس كذلك؟.

ـ أجل.. بالطبع، ولا داعي للشكر بيننا.

وسألها بعد صمت قصير:

ـ متى أستطيع أن أراك؟ فإذا جرى كل شيء على ما يرام بعد أربع وعشرين ساعة، سأعود إلى منزلي بعد ظهر الغد. أهناك فرصة لرؤيتك غداً؟.

ـ أجل.. أخبرني فقط أين ومتى؟.

ـ في مطعم «إيليان» في شارع بروكلن.. عند الخامسة مساءً.

ـ سأكون هناك دان... أبلغ حبي لوالدتك، إذا سُمِحَ لكَ بزيارتها، وأنا سعيدة جداً للأخبار الجيدة عنها... إلى اللقاء دان!.

وفجأة، صاحت بيرنيس من على الباب:

ـ أهذا دان؟.

وفي نفس الوقت أقفل دان السماعة بعد أن قال:

ـ إلى اللقاء.

ردت أنجيلا بهدوء وبرود:

ـ أجل، كان هذا دان. لقد عدتِ بسرعة.

ـ بسرعة.. لم أذهب بعد، وصلتُ إلى محطة الباص ووجدت أن ليس معي قطع نقود صغيرة، فعدتُ.. أوه ليتني وصلت قبل دقيقة، أو ليتني تأخرت بالذهاب لتمكنت من الحديث معه! لِمَ؟ لماذا لم تستبقيه قليلاً؟.

ـ كان قد ودعني وأقفل الخط.. ثم من المستحيل أن تفسري له أمراً مثل... مثل أمر بارني في دقيقتين وعلى الهاتف.

ـ مع ذلك كنت أود التحدث معه. حسناً.. الأفضل أن تعيدي لي ما قاله. ماذا قال عني؟.

فردت أنجيلا بكل هدوء ودون اكتراث:

ـ لم أحدثه بأمرك يا بيرنيس.

ـ لم تحدثيه عني؟ لكن ماذا يمكن أن تحدثيه في غير هذا؟.

كبحت أنجيلا توتر أعصابها لغباء ابنة خالتها:

ـ كلّمته عن حال أمه بالطبع. كان قد وعدني بالاتصال بعد إجراء العملية لوالدته.

ـ أوه... فهمت... كيف حالها؟.

ـ انتهت العملية، وحتى الآن هي على ما يرام.

ـ أنا مسرورة لهذا.. لكنْ لماذا لم تحدثيه عني؟ لماذا لم تغتنمي الفرصة لتقولي له إنني.. عدتُ وأريد تسوية الأمور معه!

ـ لأنني لم أعتقد أنها فرصة مناسبة، فلا يمكن شرح هذه الأمور على الهاتف بيرنيس. لقد قلتُ لكِ هذا.

- لكن متى ستجدين فرصة مناسبة لتشرحي له؟.

ردت أنجيلا ببرود:

- في الغد. سأقابله غداً.

- غداً! رتّبتِ مقابلة معهُ غداً!.

بدت بيرنيس مبتهجة فجأة، تورد وجهها ولمعت عيناها لتفكيرها بخطة خطرت في بالها البليد:

- أعرف ما سنفعل! سأذهب بدلاً عنكِ! أجل هكذا سأفعل! ولسوف تكون مفاجأة عظيمة له حين يراني مجدداً وحتماً سيكون سعيداً لدرجة أنه سيسامحني في الحال. إنها فكرة رائعة! تبسّط لنا كل الأمور...

ردت أنجيلا بهدوء بارد ودون أي انفعال، رغم توترها من تفكير بيرنيس.

- لن تفعلي شيئاً من هذا.

أدركت أنجيلا فجأة أنها تقاتل لأجل سعادتها، ولن تترك أي سلاح تستطيع استخدامه في سبيل ذلك، فأكملت:

- لن تستطيعي الذهاب بدلاً مني بيرنيس.. فأنا سأقابله في منزل أمه.

- أوه تعنين أن شقيقته ستكون هناك؟

فهزت أنجيلا رأسها بصمت، وأكملت بيرنيس:

- بالطبع، لن نستطيع شرح الأمر لها فجأة؟.

صاحت بها أنجيلا بخشونة:

- لا، ألا تستطيعين الصبر قليلاً؟

- حسناً.. أعتقد أن الأمر مقرر سلفاً... لكنه مثير للإزعاج... وهل.. ستنامين ليلتك هناك؟.

- أنام ليلتي هناك؟.

- أعني.. ألن ترى شقيقته الأمر غريباً حين تأتين لرؤية زوجك

لمدة ساعة أو ساعتين ثم تغادرين؟.

- سأتدبر أمر اعتذار ما.. فأخته على علم أنني سأبقى غائبة لأسبوع أو اثنين، وهذه مجرد زيارة خاطفة...

- حسناً.. لكن عليك شرح كل شيء له بدقة، وأخبريه أنني أريد رؤيته في أسرع وقت ممكن. ولا أريده أن يشك في هذا، فحاولي أن تأخذي موعداً محدداً منه للقائنا!...

- حسناً...

أخذت بيرنيس بضعة قطع نقدية صغيرة وخرجت ثانية.

بعد خروجها، جلست أنجيلا تدفن وجهها بين يديها مفكرة.. أيمكن لدان أن يفقد اتزانه ارتياحاً لمعرفته أن بيرنيس قد ارتكبت غلطة حمقاء فقط؟ كما أحبت هي أن تفسرها... وبالتالي يغفر لها وتعود العلاقة بينهما؟ إذن لكانت هذه النهاية بالنسبة لأنجيلا!

مع ذلك لم تكن راضية عما فعلت، لا في تفكيرها ولا ضميرها. وفي اليوم التالي كانت كلما فكرت بلقائها مع دان، تنقسم مشاعرها بين الخجل والفرح.

في النهاية كان عليها ترك الشقة قبل ساعتين من موعدها معه، ولحقت بها بيرنيس حتى الباب قائلة:

- اسرعي أنجيلا! قد لا تجدين باصاً يوصلك في الوقت المناسب.

لكن خروجها كان على الأقل، خلاصاً لها من اختراع أجوبة على أسئلة بيرنيس العديدة وتعليقاتها، واضطرت إلى السير في الحدائق العامة والشوارع.. وكانت متوترة الأعصاب، ومتعبة من السير حين حلّت الساعة الخامسة، لكن فكرة اللقاء بدان جعلتها تنسى كل شيء.

ما أن وصلت أنجيلا إلى المطعم، حتى استقبلها دان عند الباب وأمسك بيدها مبتسماً ودخلا:

- أنجيلا! الأخبار جيدة! أعرف أنها تعني الكثير لك كما تعني لنا، وهذا يجعل الخبر أفضل. أمي تقاوم بشكل رائع. وبالرغم من أنها لم

تتعدى بعد مرحلة الخطر، إلا أن أملها بالشفاء أكبر مما كنا نتوقع.

علق صوتها في حنجرتها وهي تقول بصوت منخفض أقرب إلى الهمس:

ـ كم.. أنا.. سعيدة!

فضحك وكأنه مهتم بها:

ـ تعالي لنتناول الشاي، وإلا سنبكي فوق كتفيّ بعضنا البعض.

وجدا زاوية جميلة منعزلة.. وهما يتناولان الشاي انطلق دان في حديث طويل، لكنه لم يتجاوز الحديث العادي، مع ذلك لم يكن من النوع الذي قد تحلم بسماعه منه يوم كانت مجرد ابنة خالة بيرنيس.

ـ والآن أخبريني ماذا كنت تفعلين؟.

إذن، لقد حانت الآن لحظة الشرح اللبق لأمر بيرنيس.. وبقيت صامتة لبرهة متظاهرة بصب الشاي.. فاستطرد دان قائلاً:

ـ ألم تعودي بعد إلى عملك أنجيلا؟

ـ لا.. ليس بعد.

ـ ومتى ستعودين؟.

وبلهجة عادية قدر استطاعتها أجابت:

ـ لن أعود.. فلقد أجروا تنظيماً جديداً للمكتب، واضطروا لصرف عدد من الموظفين، وأنا واحدة منهم.

ـ وهل هذا صحيح؟.

فأطرقت بنظرها بعد أن أخذ كوب الشاي منها، ولم يرقه ما سمعه.. فقال بحدّة:

ـ انظري إليّ أنجيلا.

فرفعت نظرها إليه مجفلة.

ـ هل طُردتِ من العمل بسبب ما عرفه رومر حين كان في بيتنا؟.

ـ لا. لا!

ـ بلى.. بالطبع.. وإلا ما هو سبب طردك؟.

ـ في الرسالة، قالوا بوضوح إنهم سيقللون من عدد...

ـ كلام هراء. هذه طريقة لتحلية المر، وأنت تعرفين هذا.. رومر العجوز ليس حقوداً لكنه جبان، ولقد وضع في كلمات الرسالة أفضل ما يستطيع من لطف حتى لا يحرجكِ لكن المؤسسات المحترمة لا تختار التخلص من أفضل موظفيها هكذا دون سابق إنذار.

فابتسمت قائلة:

ـ وكيف تعرف أنني موظفة مفضلة؟.

ـ لأنهم أعطوك فرصة ستة أسابيع حين احتاجت إليك خالتك. وتنازل من هذا النوع لا يُعطى إلا لموظفين مفضّلين لا يمكن الاستغناء عنهم. أتسمحين لي بمقابلة رومر لأجلك؟.

ـ أوه.. لا.. أرجوك لا تفعل دان. فأنا لا أعتقد أنني أريد الرجوع للعمل عنده!.

ـ بسبب ما يظنه بك؟.

ـ حسناً إنه أمر من الأمور السيئة يا دان.. والأفضل نسيانه، ولست خائفة من عدم حصولي على وظيفة.. سأجد وظيفة تعجبني في مكان آخر. أنا واثقة.

ـ أهذا حقاً ما تريدينه؟.

ـ أجل.

وكانت المفاجأة حين سألها دان:

ـ حسن جداً.. أيمكن أن تفكري بوظيفة في فرع مؤسستنا في نيويورك؟.

ارتفع قلبها إلى حنجرتها وقالت بارتباك:

ـ ليس إذا كانت الوظيفة ستُخترع خصيصاً لي.

فضحك.

ـ لا تكوني سخيفة.. فلن أكون رجل أعمال ناجح لو أنني فعلت مثل هذه الأمور.. هناك بالفعل وظيفة شاغرة، ستعملين كسكرتيرة لي حين أكون هنا. وهذا سيكون بشكل دائم تقريباً في الأشهر القادمة،

فكري بالأمر، وإذا كان بإمكانك تحمّل ذلك، فالوظيفة لكِ...

حركت السكر في الشاي ببطء بعكس دقات قلبها التي تسارعت فرحة، وتساءلت ما إذا كان الناس يمكن أن يُغمى عليهم من السعادة. حاولت بجهدالإجابة بهدوء وإخفاء فرحها بهذا العرض وسمعت نفسها تقول بصوت جميل وودود:

ـ سأحب هذه الوظيفة.. متى تود أن أبدأ؟.

ـ حال أن تتمكني.

ـ بعد الغد؟.

ـ بعد الغد عظيم.. سأكون في المكتب يومها... وسنتفق على ترتيب الأمور.

لم تصدق ما حصل.. لم تستطع إقناع نفسها بأنها فعلاً ستعمل عند دان.. تراه كل يوم.. تشاركه مشاكله العملية ونجاحه. إنها أمور يحلم المرء بحدوثها ليسعد نفسه، لكنها نادراً ما تتحقق وتحدث في الواقع.

لكن هذا.. حدث!.

سألها بطريقة عملية عن الراتب الذي كانت تتقاضاه، وحين أبلغته قال إنه مستعد لدفع نفس الراتب، وسرها أنه لم يزد عليه، فهذا برهان أن الوظيفة سليمة، وليس مجرد ردّ الجميل لها على ما فعلته معه.

استمرا في جلستهما وناقشا موضوعين أو أكثر، بطريقة ودودة مستساغة، كشخصين راضيين جداً عن حالتهما الراهنة. كانت أنجيلا تفكر في لحظات الصمت أن عليها إخباره بأمر بيرنيس الآن، لكن دان لم يعطها فرصة لإخباره.

لم تكن تصدق من قبل أن بإمكان الناس نسيان مرور الوقت تماماً. كانت تتصور أن هذا مجرد كلام، حين يقول أحدهم إن الزمن توقف أو إن الوقت مرَّ كلمح البصر. لكنها بالفعل لم تكن تعي كم بقيا معاً أو متى سيفترقان. لذلك لم تتمكن من توقيت ما ستقوله عن بيرنيس،

معتقدة أن الوقت أمامها طويل.

لكن حين نظر دان إلى ساعته صاح متعجباً:

ـ يا للسماء، انظري كم الساعة! يجب أن أذهب، لقد وعدت أمي بزيارتها هذا المساء.. هل أوصلك إلى أي مكان بالتاكسي؟.

ـ لا.. لا.. شكراً لك. أنت مستعجل، وبإمكاني ركوب باص يمر أمام آخر الشارع الذي أسكن فيه.

ـ أواثقة أنت؟.

وهما خارجان من باب المطعم كان يضع ذراعه تقريباً حول كتفيها.. وأجابته:

ـ أجل.. بالطبع. أرجوك لا تقلق من أجلي، واذهب الآن حتى لا تتأخر على والدتك وبلغها سلامي.

ـ حسن جداً.

ابتسم لها وقبّلها على خدّها بسرعة قبل أن يصعد التاكسي.. هذا لا يعني شيئاً.. إنه مجرد سلام وداعي بسيط... لكن ما تستطيعه هو إقناع نفسها بهذا حتى لا تكشف نفسها بالتجاوب معه. وقبل أن تنطلق السيارة قال لها:

ـ أنا سعيدٌ لاتفاقنا الجديد، وأشعر بالامتنان لرومر لتقديمه هذه الفرصة لي على طبق من الفضة.

فضحكت بسعادة قائلة:

ـ وكذلك أنا.. إلى اللقاء دان. سأراك في المكتب، بعد الغد.

لوّحت له والسيارة تنطلق. ثم استدارت، لكنها سرعان ما تذكرت: أوه.. لم أقل له أي شيء عن بيرنيس!.

حين وصلت إلى الشقة، لم تجد بيرنيس إلا أنها وجدت رسالة على الطاولة وفوقها ورقة صغيرة كتبت عليها بيرنيس: أنا في السينما.. الرسالة لكِ وأتساءل عما في داخلها.. سأعود وقت العشاء.. بيرنيس.

ببطء التقطت أنجيلا الرسالة عن الطاولة، لتجد أنها من الخالة رامونا.

٧ ـ الكنّة

منذ ذلك الاتصال الهاتفي، الكارثة، مع الخالة رامونا، لم يعد لأنجيلا أي اتصال آخر معها... على كل الأحوال، ماذا هناك ليقال؟

بشعور يرافقه بعض التوتر، أخذت أنجيلا الرسالة ودخلت غرفة الجلوس. كانت رسالة سميكة ثقيلة الوزن، وبعد أن استلقت على أحد المقاعد الأكثر راحة، وهذا أمر افتقدته بوجود بيرنيس الأنانية، فتحت الرسالة، فإذا هي عدة أوراق.

كتابة الخالة رامونا كانت فخمة، ولزمها ثلاث صفحات لوصف مشاعرها، وقلقها وحيرتها حول الأنباء التي أخبرتها إياها أنجيلا على الهاتف. بعد ذلك حاولت الخالة رامونا جهدها توضيح أنها، وبعد تفكير عميق، لا تلوم ابنة أختها كثيراً:

«في الواقع، قد أستطيع القول إننا متشوقون لسماع أخبارك، وليس هذا فقط، فنحن متأكدون أن بيرنيس ستتصل بكِ حال تمكنها من ذلك. لقد كانت فتاة سيئة السلوك ومستهترة، لكنها على كل الأحوال ابنتنا، وأرجو منك أن تؤكدي لها حبنا متى شاهدتها. إلا أنني لا أستطيع منع إحساسي بأن بيرنيس ستتلقى صدمة مريرة من ذلك الرجل الذي هربت معه.: وأنا جداً قلقة عليها، وأتمنى أن أطمئن عليها في أقرب وقت: أين هي الآن؟ وماذا تفعل؟ وكيف تعيش؟ فإذا شاهدتها، أنجيلا أو اتصلت بكِ، أرجوك أخبريها أنه مهما حدث فأبوها وأنا لن نسألها ولن نتطرق إلى ما حدث أبداً. فقط، نحن نريد عودتها إلى البيت، وهو

مفتوح لها ساعة تشاء، ونحن بانتظارها بكل شوق... أكدي لها هذا....».

لامت أنجيلا نفسها كثيراً لأنها لم تكتب لخالتها على الفور تخبرها أن بيرنيس قد عادت سالمة، فهي لم تتزوج ولم تتأذى من ذلك الشرير بارني.. إلا أن أنجيلا تشك في إقناع بيرنيس بالاتصال بوالديها أو الكتابة إليهما على الأقل. وهنا، طرأت على بال أنجيلا فكرة، وهي أن توضب حقيبة بيرنيس وتحجز لها مقعداً في القطار وتوصلها إلى المحطة وتجلسها بنفسها على المقعد... تحجز لها مقعداً في القطار وتضعها فيه! أعجبتها هذه الكلمات التي كانت بمثابة المهدّىء لأعصاب أنجيلا بشكل لا يوصف، فقد أحست فيها رنة غريبة ومميزة أراحتها. ولن تكون الخالة رامونا والعم برنارد وحدهما السعيدين لمعرفة أن بيرنيس في طريقها إلى المنزل في الغد.

لكن أليس مثل هذا القرار يعود لبيرنيس وحدها؟ إلا أن الأهم الآن هو طمأنة خالتها القلقة، وبعدها تقرر ماذا ستفعل! فتناولت سماعة الهاتف، وما هي سوى دقيقتين حتى سمعت صوت خالتها القلق:

ـ نعم.. نعم.. من المتكلم؟ أهذه أنت أنجيلا؟.

ـ أجل يا خالتي، لقد وصلتني رسالتك للتو، واتصلت بكِ على الفور. اطمئني خالتي رامونا، فبيرنيس بأمان، وهي معي هنا في الشقة.

ـ أوه.. يا ابنتي العزيزة!

وسمعت أنجيلا شهقة بكاء مريرة من خالتها، مسّت قلبها. فأكملت:

ـ اسمعي خالتي.. لا داعي للقلق، فهي لم تتزوج بارني ولم... أعني.. لم يحدث شيء بينهما.. يبدو أنهما تخاصما على الفور وتركته وأتت إلى هنا.

ـ دعيني أكلمها، قولي لطفلتي أن لا حاجة للخوف.. أريد فقط أن أكلمها وأسمع صوتها.

- إنها ليست هنا الآن خالتي.

- ليست هنا؟ أين هي إذن؟.

- خرجت، ولا أستطيع شرح الأمر لك الآن، لكن اطمئني، ولا داعي للقلق.

من المستحيل أن تعترف أنجيلا بأن بيرنيس تتمتع بحضور فيلم سينمائي بينما تكاد تظهر دموع أمها من الطرف الآخر على الهاتف... وأكملت:

- لكنني أعلم أنها ستكون سعيدة لمعرفة أنكِ كتبتِ لي لتطمئني عليها.

ردت الخالة المسكينة:

- لكنني أريد التحدث إليها، أريد رؤيتها، وكذلك والدها، إنه يقف هنا إلى جانبي، يشاركني القلق عليها.

تستطيع أنجيلا تخيل الموقف: متوسطان في العمر، مرتبكان، وقلقان أكثر مما يستطيعان التعبير، يقفان قرب الهاتف يحاولان الاتصال بأية طريقة بابنتهما. وقد آلمها ما يعاني منه والدا بيرنيس المسكينين، فقررت تنفيذ فكرتها، وقالت:

- حسناً، خالتي، سأرسل بيرنيس لكما في الصباح. سأشتري لها تذكرة القطار وأوصلها بنفسي إلى المحطة، وستكون عندكما بعد ظهر الغد...

وتلاشى صوت خالتها وهي تودعها شاكرة... أرجعت أنجيلا شعرها إلى الوراء بكلتي يديها، أحست أنها مرت بعاصفة عاطفية، ليس فقط بداعي الشفقة على خالتها المسكينة القلقة، بل هي الآن بحاجة إلى هدوئها وثباتها لتتمكن من التعامل مع بيرنيس.

حين عادت بيرنيس كانت أنجيلا في المطبخ تحضر العشاء، فنادتها في الحال.

- مرحباً بيرنيس، لقد اتصلت بوالدتك، وجئت من الفرح لسماعها

أنكِ سالمة معي هنا. كانت غلطة منا أننا لم نخبرها بوجودكِ في الحال.

تقدمت بيرنيس لتقف بباب المطبخ وتسأل ببرود:

- هل هي التي اتصلت؟.

- لا.. أنا اتصلت بها بعد قراءة رسالتها، كانت رسالة مؤثرة بيرنيس ولست أدري لماذا لم نفكر بالاتصال بها فور مجيئك لإخبارها أنكِ سالمة.

ردت بيرنيس بعناد غبي ودون مبالاة:

- حسناً.. لم تكن مضطرة للقلق. يمكن أن تغضب من زواجي ببارني، أو أن يخيب أملها، لكن كل ما كانت تعرفه حتى اتصالك بها، أنني متزوجة وسالمة... مع بارني أليس كذلك؟.

- يبدو أن أمك عرفت كيف تحكم على بارني أكثر منكِ، ولهذا كانت قلقة عليك.. على كل الأحوال هي ووالدك متشوقان لرؤيتك، وقد وعدتهما بأن أرسلكِ إليهما في الغد، ولو لزيارة قصيرة.

- أنجيلا! ليس من حقك قطع هذا الوعد!

- لم يكن بوسعي سوى هذا يا عزيزتي، فليس لديك فكرة عن مدى قلقهما.

- لكنني لا أريد الذهاب.

- إذن، يجب عليك، ولو لمرة، أن تفعلي شيئاً لا تريدينه! فأنتِ حتى الآن لم تفعلي سوى ما أردتيه ولوقت طويل، وتسببتِ بالفوضى والأذية لجميع من لهم علاقة بكِ... وعليك الآن التفكير بالآخرين، ولو لمجرد التغيير. ستذهبين إلى منزلكِ، وتعطين أهلك بعض السعادة والارتياح، مقابل كل القلق الذي سببته لهما في الأسابيع الماضية.

نظرت بيرنيس إليها بعبوس، لكن متأثرة هذه المرة.

- لا أستطيع العودة هكذا بسرعة.

- لا شيء يمنعك.. لقد وعدتُ بشراء تذكرة السفر لك، ووضعك

بنفسي في القطار غداً. ولن أستطيع التراجع عن هذا الوعد الآن. أفهمت؟.

ـ لكن.. ماذا عن دان؟.

ـ ماذا عنه؟.

ـ ماذا قال لك عني اليوم؟

ـ القليل.

ـ أتعنين.. أنه لم يكن مسروراً لسماع أنني... عدتُ ثانية؟.

ـ لقد وجدت صعوبة في التطرق إلى الموضوع. ولا أظن أن هناك فائدة من اطلاعك على تفاصيل الحديث بيرنيس.. لكن صدقيني، لقاؤكما الآن لن.. لن يفيد.

ـ ألا زال غاضباً مني؟

ـ بيرنيس...! لا يتغلب المرء على أشياء مثل هذه في خمس دقائق!

صمتت بيرنيس ثم قالت بعناد غبي:

ـ سيتغلب على الأمر.. ألم تقولي له إنني أريد رؤيته؟.

ابتلعت أنجيلا ريقها بصعوبة.. ثم ردت ببرود:

ـ لم أقل له... بكلمات صريحة.

فصاحت بها بيرنيس:

ـ لكنني قلت لكِ أن تفعلي! كان هذا أهم شيء. ثم ما هو الذي كنتما تتحدثان فيه وأنساكِ أهم شيء على الإطلاق؟

ـ كنا نتحدث عما يهمني أنا معظم الوقت.

بدت دهشة ساذجة غبية على وجه بيرنيس:

ـ عما يهمك أنتِ؟.

ـ أجل.. لقد غضب دان لفقداني وظيفتي، وهو يعتقد أنه السبب في ذلك!

ـ ولماذا؟

أمضت أنجيلا خمس دقائق تحاول إفهامها ما حدث لها مع السيد رومر،... إلى أن قالت بيرنيس أخيراً:

ـ أوه.. فهمت... أجل.. أعتقد أن من حقه الغضب. لكن هل يستطيع دان فعل شيء في هذا الموضوع؟

فقالت أنجيلا بهدوء قدر استطاعتها:

ـ لقد عرض عليَّ وظيفة في المؤسسة التي يعمل فيها.

ـ صحيح؟ وهل قبلتِ بها؟.

ـ أجل.. وأظنها ستعجبني.

ـ جيد.. فهذا سيجعلك على اتصال دائم به، مما يعطيك فرصة أكبر.. لتحدثيه عني!

لم ترد أنجيلا عليها، فلا حاجة للرد فبيرنيس، بغبائها، ترى أن أنجيلا لن تتردد في اغتنام أية فرصة قد تجدها لتهتم بمصالحتها مع دان.. هكذا تصور لها مخيلتها. ثم قالت بيرنيس بعد برهة من الصمت:

ـ إذن.. أنت ترين أن عليّ العودة إلى المنزل لفترة قليلة.

ـ لقد وعدت بأن أهتم بهذا بنفسي. ويجب عليكِ هذا حقاً بيرنيس. لا يمكنك تكدير أهلكِ بعد الآن.

علقت بيرنيس بجفاء، لكن مع قليل من المرح:

ـ أظن أنك تصرفت باستبداد في وعدكِ هذا دون استشارتي.. وقد يظن المرء أنك متشوقة للخلاص مني.

وضحكت، لإيمانها بأن هذا مستحيل. فابتسمت أنجيلا بدورها، لكن ببرود، وقالت:

ـ من الأفضل قراءة رسالة أمك، وسترين بنفسك أن عليك حقاً الذهاب.

ـ حسناً.

توجهت بيرنيس إلى غرفة الجلوس لتقرأ الرسالة، فأسندت أنجيلا

نفسها إلى رف المغسلة وأغمضت عينيها، ولم تكن تدري إن كان باستطاعتها منع دموعها، أو الشعور بالارتياح لإقناع بيرنيس بالذهاب لأهلها.

بعد العشاء، وإعلان بيرنيس موافقتها على العودة.. أحست أنجيلا أن هناك ما يجب أن تسأل عنه ابنة خالتها قبل سفرها. أما إذا كان الرد سيؤثر عليها أم لا فهذا أمر لن تستطيع التكهن به:

ـ أخبريني بيرنيس.. هل تحبين دان حقاً؟.

أدارت بيرنيس عينيها بذهول نحو أنجيلا ثم قالت:

ـ طبعاً أحبه! كنتُ سأتزوجه، أليس كذلك؟.

ـ أجل وتركتيه من أجل رجل آخر.

ـ أوه.. هذا أمر مختلف، فما جرى كان نوعاً من الجنون. ربما لن تفهمي هذا، فأنتِ لستِ مجنونة ومتهورة مثلي... وأؤكد.. لكِ أنني تخلصتُ من كل مشاعري تجاه بارني..

ـ أجل.. فهمتُ هذا. لكنني أريد فقط التأكد من أنك تريدين دان حقاً.

ـ حسناً.. ومن غيره؟.

في تفكير بيرنيس السخيف، تؤمن أنها تحب دان.. أما أن يكون هذا يكفي لإسعاده أم لا، فذلك أمر آخر. ووجدت أنجيلا نفسها قد عادت إلى نقطة البداية.. ولم يعد أمامها سوى إقناع نفسها أنها متى استطاعت التأثير على دان وأفكاره، عندها ستتمكن من قياس مقدار حبه لها بالنسبة لحبه لبيرنيس... والآن كل ما تحتاجه لذلك هو الوقت. والوقت الآن في صالحها خاصة وأنها ستراه يومياً من خلال العمل معه!

في الصباح التالي رافقت أنجيلا بيرنيس الفرِحة والسعيدة إلى محطة القطار.. وقالت بيرنيس:

ـ لن أستطيع البقاء في يونيكا طويلاً.. لقد تذوقتُ لذة الحياة هنا، إنني أنوي رؤية دان قريباً... فلو تركت إحدانا الرجل طويلاً، فهناك

فرصة لينساها، أليس كذلك؟.

ـ هذا صحيح.

ـ ستحاولين طبعاً، إبقائي في ذاكرته، بطريقة لبقة. أليس كذلك؟ وحال أن تصبح أمه بصحة تسمح لها بقبول الحقيقة، سأقوم بترتيبات للقائها، فأنا لا أعتقد أنها ستقضي عمرها تظنه متزوجاً منكِ.

قبل انطلاق القطار، لفّت بيرنيس ذراعيها حول عنق أنجيلا وقبلتها بعاطفة حقيقية، جعلتها تخجل بمرارة من نفسها:

ـ لن أستطيع شكركِ أبداً لما فعلته لأجلي. أنا لا أظهر شكري عادة كما يجب، لكنني شاكرة لكِ اهتمامك الدائم بي ولملمتك للقطع التي أحطمها بغباء.

ـ لا بأس في هذا بيرنيس، ولا تبالغي في رأيك عني... فأي شيء فعلتُه كان لإرضاء نفسي بنفس القدر. ويمكن أن أكون أنانية أحياناً كأي إنسان آخر، صدقيني.

ضحكت بيرنيس لسماعها هذا الكلام واعتبرته مجرد مزاح. ثم حان وقت الصعود إلى القطار، فبدا الارتياح على أنجيلا وما هي إلا لحظات حتى دوت الصفارة، وبدأ القطار يتحرك، وها هي بيرنيس في طريقها إلى يونيكا.

غادرت أنجيلا المحطة ببطء، تحس أنها تمثل دور الخائن، وهي تتأرجح بين الشعور بالراحة والشعور بالذنب.

بقيّة اليوم، حاولت أنجيلا بتصميم إزاحة التفكير بابنة خالتها عن رأسها قدر المستطاع.. فلو تركت التفكير بها يستحوذ عليها فلن تتمكن من التصرف الطبيعي مع دان، وهذا سيهزم أي أمل لها، ودون حتى أن تفعل شيئاً لمصلحة بيرنيس.

كما أنها لن تستطيع النظر إلى هذا التطور الجديد كخطوة إلى الأمام لصالح سعادتها.. إضافة إلى أنها الآن عليها التركيز على أهمية الكسب الجيد لمعيشتها، وهذا أمر لم تنظر إليه أنجيلا في حياتها كلها بخفة.

في وقت متأخر من تلك الأمسية، اتصل بها دان... وبدت الدهشة في صوته لتعجبها من اتصاله، فقال:

ـ ظننتُ أنك ترغبين في نشرة يومية عن التطورات.

ـ أوه.. هذا صحيح بالطبع. لكنني لم أعتقد أنكَ ستكون لطيفاً لدرجة الاتصال بي لهذا الغرض، في وقت ستراني في المكتب صباحاً.

فضحك قائلاً:

ـ لا داعي لاختلاق الأعذار كي لا أشارك الأخبار الطيبة مع من يهتم بها كما تفعلين أنت. والدتي تحافظ على قوتها بشكل رائع، وقد سمح لي بالبقاء معها عشر دقائق اليوم. وهي تبلغك حبها وتتمنى لو تأتين لرؤيتها حين يُسمح لها بزيارة غير أفراد العائلة.

ـ طبعاً، سأفعل بكل تأكيد.. وبسعادة كبيرة! بلّغها حبي وسلامي.

فاستطرد دان قائلاً:

ـ حتى أنها أضافت، أنك على كل الأحوال، تعتبرين من العائلة وأن لك الحق في أولوية الزيارة.

من لهجة كلامه عرفت أنه يبتسم، فصاحت متأثرة:

ـ أهي قالت هذا؟ يا لها من امرأة طيبة وحبيبة إلى قلبي...

ـ حسناً، أنجيلا، إلى اللقاء في الغد.

ـ إلى اللقاء دان...

بعد وقت طويل من انتهاء المخابرة، بقيت جالسة تفكر، وبارتياح، بوالدة دان. فلو أن ما قالته يعني شيئاً، فإنه يعني أنها كانت راضية أن تكون أنجيلا «كنة» لها، وكم أفرحها هذا التفكير وتمنّت لو يتحقق على أرض الواقع.

حين انطلقت إلى المكتب في الصباح التالي، أحست بذلك الإحساس من التوتر الذي يشعر به الجميع حين يدخلون محيطاً جديداً يضم أناس غرباء وبالتالي لا بد من خوض تجربة جديدة.

لكن، بالنسبة لأنجيلا، فهناك فارق مهم وأساسي، ألا وهو إدراكها

أن دان سيكون مركز الثقل في هذا المحيط الجديد والتجربة الجديدة.

مؤسسة مارلو وسايرز، التي أصبحت أنجيلا أحد العاملين فيها الآن، تقع في شارع المال من نيويورك، في قلب «وول ستريت» وهي مؤلفة من ثلاثة شركاء أكبرهم سناً السيد مارلو، المهتم بالجانب الإداري مع أنه هو السلطة الحقيقية في المؤسسة، كما أكد لها زملاؤها منذ أول يوم، بالقول إن الرجل العجوز «مرعب قليلاً».

على كل الأحوال، من المستبعد أن يكون لها علاقة معه شخصياً، ووافق الجميع أن العمل مع السيد سايرز عظيم. وقالت إحدى الفتيات «إنه شديد التمسك بالنظام لكنه «عادل» على وجه العموم، وجيد الطباع» وأضافت الفتاة:

ـ قد يكون كثير التزمت حالياً.. فقد كان سيتزوج منذ أسبوعين اثنين، وفشلت خطة الزواج لسبب أو آخر. لذا، إذا كان متجهماً أو قاسياً، فلا تتضايقي وكوني متسامحة معه.

استمعت أنجيلا بهدوء إلى كل كلام زملائها، واكتفت بهز رأسها إيجاباً... رن جرس الهاتف الداخلي، فتوجهت إلى مكتب دان.

حين دخلت رفع رأسه عن البريد مبتسماً لها وسأل:

ـ هل كل شيء على ما يُرام؟

ـ أجل.. شكراً لكَ.

جلست أمامه، وبدا عليها الود لكن بشكل رسمي، فهي لا تريده أن يعتقد أنها تنوي استغلال صداقتها داخل المكتب.. ودون مقدمات أخذ يملي عليها الرسائل، لتمارس عملها كسكرتيرة له، ولا شيء آخر.

في النهاية أعطاها بعض الشروح لأوجه عملها المختلفة وسمح لها بالخروج مبتسماً وقائلاً:

ـ ادخلي واسأليني عن أي شيء تجدينه صعباً في عملك.

إنه أول صباح لها في العمل، وقد وجدت أنجيلا فيه المفتاح لعلاقتها مع دان، فهو رجل أعمال حقاً.. فالمؤسسة مزدهرة وناجحة،

وفي العمل، الأمور العملية تأتي في أول سلم الأولويات.

ورضيت تماماً أن يكون الوضع هكذا. فبالنسبة لها، يكفيها أن تراه كل يوم وتعمل معه.. صحيح، نظرياً، أنها تعتمد على وضعها الجديد لتتركز أكثر في ذهنه، وحتى في قلبه، قبل عودة بيرنيس إلى حياته مجدداً. لكن، بالحكم على الرسالة السعيدة الشاكرة التي استلمتها من الخالة رامونا، فلن يكون لبيرنيس رجوع وشيك إلى نيويورك.. ففي الوقت الحاضر تشعر أنجيلا بالرضى لما آلت إليه الأمور وبسرعة لم تكن تتوقعها. في منتصف أسبوعها الثالث في المكتب، قال لها دان ذات صباح بعد أن أنهى إملاء الرسائل:

ـ متى ستأتين لزيارة أمي؟ أظنهم سيسمحون لك بزيارتها الآن.

رفعت أنجيلا رأسها عن دفتر ملاحظاتها مبتسمة بسعادة:

ـ أوه.. في أي وقت! فأنا بشوق لرؤيتها!

ـ ما رأيك بمساء الغد.. بإمكاننا سوية ترك العمل باكراً، وسآخذك إلى هناك بنفسي، وربما بعد ذلك تتناولين العشاء معي.

ـ سيكون هذا أمراً رائعاً.

في اليوم التالي اهتمت أكثر من اللازم بعملها، حتى أنها حين همّت بالخروج قبل ساعة من انتهاء الدوام، قالت إحدى زميلاتها معلقة:

ـ لا عجب أن يوافق السيد سايرز على خروجك، فقد قمت بعمل يوم ونصف.

فابتسمت أنجيلا وتمتمت شيئاً عن اضطرارها لإنهاء بعض الأعمال العالقة، وتمنت ليلة سعيدة لزميلتها وخرجت لتجد دان ينتظرها في سيارته.

في البداية لم يتحدثا معاً، إلى أن تحررا من زُحام السير لكن بدا عليه الارتياح معها دون أن يحتاج إلى محادثتها.

أثار دان بضع نقاط مهمة بالنسبة للعمل، ثم قالت أنجيلا إن منزل

والدته بعيد ومن المشقة الإستمرار في التنقل، فأكد لها أنه يملك شقة في قلب نيويورك، لكنه يفضّل أن يبقى وسط عائلته. على الأقل حالياً، ثم استطرد قائلاً:

ـ أضيف إلى هذا أنني كرهتُ الذهاب إلى شقتي لأنني كنتُ سأقيم فيها مع بيرنيس.

ـ صحيح؟.

ـ أجل.. ما من فائدة لكون الإنسان رقيق الشعور حول هذه الأمور، إلا أنني سأعتاد قريباً على الفكرة. لكنني في الوقت الحاضر أحس أن الشقة ستبدو لي فارغة، وموحشة... ولا لزوم لها.

ـ أعتقد.. أن هذا صحيح.

ـ أعلم أنني سأكون أحمقاً لو أزعجتُ نفسي لأجلها، لكنني لا أستطيع التوقف عن التمني أن أسمع شيئاً عن أخبارها.

ـ أي نوع من الأخبار؟.

ـ أوه.. أي نوع كان.. أعتقد أن خالتك لم تكتب لكِ بعد منذ مكالمتها لك في منزلنا؟ أم أنها فعلت أنجيلا؟ لم أفكر أن أسألك من قبل... هل كتبت لكِ خالتكِ شيئاً عن بيرنيس؟.

* * *

٨ ـ وعادت بيرنيس

بدا لها في تلك اللحظة الرهيبة، أن هوة رهيبة انفتحت تحت قدميها.

لماذا لم تتصور من قبل وببساطة، لعبة القدر حيث يمكن للكارثة أن تنفجر فوق رأسها في أية لحظة؟ لماذا لم تتوقع بعد أن توطدت علاقتها بدان، أن يحدثها عن بيرنيس وحتى أن يسأل عنها؟

مرت لحظات، خالتها دهراً، قبل أن تتجمع كلمات الرد على شفتيها ثم قالت:

ـ خالتي رامونا.. كتبت لي... بعد ثلاثة أيام من عودتي إلى شقتي.. لم يكن لديها أخبار عن بيرنيس، وتوسلت إليّ أن أخبرها إذا سمعتُ شيئاً عنها.

فابتسم قائلاً:

ـ هكذا إذن.. لقد قررت خالتك مسامحتك على تلك المغامرة؟

وجدت أنجيلا أن بإمكانها تحويل أفكاره عن السؤال الرئيسي بالكلام عن خالتها ومسامحتها لها، فاندفعت تقول:

ـ أوه.. أجل.. فخالتي كريمة الخلق ومتفهمة.. وحين فكرت بالأمور جيداً، وجدت أن نيّتي كانت طيبة، حتى ولو أنها لا زالت تعتقد أنه كان عليّ الثقة بها. وأظن أن ما أزعجها هو أن الآنسة كاربنتر التي شاهدتنا في محطة القطار هي التي أخبرتها بشكل مثير للغضب.

ـ أجل.. أظنني لم أهتم لما سببته كاربنتر من إزعاج.

ـ أوه.. دان، لا أهمية للأمر الآن.

ـ أظن أنها مصدرالشائعات المحلية.. ولا بد أنها تشوّه سمعتك الآن. كان يجب أن أفكر بهذا من قبل.

ـ أظن خالتي قادرة على تدبر أمرها، بعد أن حصلت على الوقائع الآن..

ـ أتظنين هذا؟

ـ أوه.. طبعاً. لا عليك!

هز كتفيه، نصف مقتنع:

ـ حسناً، لا أرغب في أن يصفوك بالفتاة التي سرقت خطيب ابنة خالتها.

لتفترض أن عليها قول الحقيقة له الآن؟ لتفترض أنها ستعتبر الفرصة سانحة للمخاطرة بالتلميح له بأن بيرنيس، بالرغم مما فعلت، لا زالت حرة دون قيد، ولا زالت مهتمة به؟ وهي تريد رؤيته...؟

لكن كيف يمكن لها أن تبدأ بهذا الكشف؟ قبل كل شيء، كيف يمكن أن تشرح له لماذا لم تقل الحقيقة قبل الآن؟

الموضوع تعدّى انتظار الوقت المناسب، وستضطر إلى شرح تصرفها الغريب، في حال شرحت له حقيقة موقف بيرنيس. لكن، دون أن تتردد لحظة أخرى، قررت قول الحقيقة مهما كانت النتائج:

ـ دان...

ـ نعم يا حبي؟

كان يستدير في منحنى صعب، وجاء الرد منه دون تفكير، وبشكل طبيعي... لكنه فاجأ أنجيلا وأجبرها على الصمت.

لم يكونا من قبل قد توصلا إلى درجة من الوفاق تسمح له بمناداتها «حبي».. وهذه الآن تسجل مرحلة متقدمة في علاقتهما، خطفت أنفاسها، ولم تعد ترغب في إراحة ضميرها من أي سر. لم تعد تستطيع، وبإرادتها الكاملة، أن تفسد هذا الوضع الساحر غير العادي.

ولم يعد شعورها بالذنب له قيمة أمام فورة الفرح التي غمرتها.

لذلك، حين التفت إليها متسائلاً، وجدت نفسها تبتسم وتقول:

ـ أوه.. لا شيء.

ـ أتحاولين الاحتفاظ بسرّك؟

ـ لا.. لا.. لم يكن للأمر أهمية. كنت أتساءل فقط كم تبعد المستشفى لكنني تذكرت أنكَ قلتَ إننا سنصل هناك في السادسة والنصف.

ـ صحيح.. هل تعبتِ؟

ـ لا.. بل أتمتع بكل لحظة في هذا المشوار.

فضحك، وكأن شيئاً في كلامها أسعده كثيراً، ثم قال متسائلاً:

ـ لكن ألا تعرفين القلق أنجيلا؟

ـ بلى.. لكن أنتَ لا تعرفني جيداً لتعرف كل شيء عني.

ـ بكل تأكيد أعرفك! ألم نتشارك في موقف مقلق معاً؟ وأعتقد أنك تجاوزت كل المخاطر بثقة وهدوء.

ـ أوه.. صحيح.. إن أي وضع يطرأ أمامي، أستطيع تدبّره وتسويته، وفي أحيان كثيرة أفكر بأشياء تزعجني قبل حدوثها.

ـ ألا يحصل هذا معنا جميعاً؟

وقبل أن تتمكن من إيقاف نفسها قالت بسرعة:

ـ لا.. بيرنيس لا تفعل هذا مطلقاً.

وأدركت على الفور أنها ارتكبت خطأً بذكر بيرنيس ثانية له، ودون أي ضرورة لذلك. فبدا دان وكأنه يحاول تذكر خطيبته بجهد:

ـ أوه.. بيرنيس... لا.. إنها لا تُقلق نفسها حول أي شيء.. تترك للآخرين القلق، حتى على مشاكلها.

وابتسم بمرارة مما يظهر أنه على الأقل لا أوهام كبيرة لديه حولها. وهذا ما أخافها، فقد كانت تأمل حين يعرف حقيقة بيرنيس أن ينظر إليها شخصياً نظرة مختلفة، لكن يبدو أنه يعرفها حق المعرفة، ومع ذلك

أحبها على ما هي.. ولن يكون دان أول رجل يحب امرأة لاستهتارها وقدرتها على أخذ الأمور بخفة وتهور ودون أي اعتبار للآخرين.

بصمت أخذت تستوعب هذه الفكرة المزعجة، وبصمت أيضاً أكملا الطريق. إلى أن قال أخيراً وهو يستدير نحو مدخل المستشفى:

ـ ها قد وصلنا.

بعد التقارير المشجعة المليئة بالأمل التي كانت تسمعها عن السيدة سايرز، صُدمت أنجيلا لرؤيتها ضعيفة واهنة. لكن عينيها كانتا براقتين كعادتهما، وابتسمت لأنجيلا ابتسامة كلها محبة، وبدا واضحاً أنها تحافظ على قوتها بصعوبة، ولم تتمكن من النطق سوى ببعض الكلمات. وقبل مغادرة أنجيلا الغرفة لأن وقت الزيارة قصير جداً، قبّلت السيدة سايرز قائلة:

ـ أرجو أن أتمكن قريباً من البقاء معك مدة أطول.

ـ أجل يا عزيزتي، سيأتي دان بكِ. وأنا سعيدة لعملك معه في المكتب، وأنك ترينه كثيراً.

فابتسم دان:

ـ أمي تعتقد أنك مناسبة لي.

فردّت أنجيلا دون أن تدري إذا كان التدليل هذا لها أم لوالدته:

ـ سيأخذني الآن إلى العشاء وسأرعاه إكراماً لكِ....

نظرت إليها السيدة سايرز بحب حقيقي وقالت بكلمات متعبة:

ـ أنت فتاة طيبة. رعاك الله.

مرة أخرى أحست أنجيلا بالتأثر لنظرة الذكاء الحادة، والراضية والمرحة في آن، التي أطلت من عيني العجوز، رغم شدة شحوبها وضعفها... حين جلسا في السيارة، قام متعمداً بنصف دورة قبل أن ينطلق من الموقف، ثم التفت إلى أنجيلا قائلاً:

ـ هناك على الأقل ميزة اكتسبتها من عدم زواجي ببيرنيس، ذلك أنني قادر الآن على زيارة أمي كل يوم.. وأظن هذا يشكل فارقاً كبيراً

لها.

ـ أنا واثقة من هذا.. أنتما متقاربان جداً، أليس كذلك؟

ـ جداً.. فوالدي مات منذ سنوات طويلة، وهذا ما جعلنا طبعاً نعتمد على أنفسنا ونهتم أكثر ببعضنا.

ـ إذن لست أفهم...

نظر إليها متسائلاً:

ـ ما الذي لا تفهمينه؟

ـ حسناً.. الأمر ليس من شأني، لكنني مندهشة لماذا لم تأخذ بيرنيس لمقابلة والدتك خلال أشهر الخطوبة؟

فقطب جبينه ثم ردّ وقد علا الوجوم وجهه:

ـ لم تكن تريد أن تصل معي إلى هذا المدى.

دون أي تفكير، انطلقت تدافع عن بيرنيس.

ـ لم تكن تعلم أن أمك فاتنة هكذا، وإلا فأنا واثقة أنها كانت ستقبل أن تأتي معك لرؤيتها.

ـ لكنها لن تعرف ذلك إذا لم تقابلها أولاً. أليس كذلك؟

فابتسمت بحيرة ثم قالت:

ـ حسناً.. من حسن الحظ أنها لم تفعل. وإلا لما استطعنا تنفيذ خطتنا، ومع أن الخطة لم تخدمنا كثيراً، إلا أنني سعيدة لأنني قمت بهذه التجربة.

ـ يا إلهي.. وأنا كذلك! وإلا لما عرفتكِ جيداً لولا ما حصل.

فابتسمت ثم نظر إليها مستطرداً:

ـ وهذا أمر آخر ما كنتُ لأتخلى عنه مقابل أي شيء في العالم.

ـ شكراً لك دان. وأنا كذلك سعيدة جداً للفرصة التي أُتيحت لنا للتعارف.. وبصراحة... حتى ونحن في «يونيكا» كنتُ أتمنى لو أعرفك أكثر. لكنك بالطبع كنتَ يومها خطيب ابنة خالتي.

فسألها بشيء من المفاجأة:

ـ أكنتِ حقاً تفكرين بي هكذا؟

ـ أحياناً...

ـ في الواقع لم أكن أفكر بكِ كثيراً هناك.. كنتُ أقول لنفسي إن لخطيبتي ابنة خالة جذابة، وأترك الأمر عند هذا الحد.

ـ أمر ملائم جداً، فقد كنتَ ستتزوج ابنة خالتي في غضون أسابيع.

ـ انظري أنجيلا، هذا هو المكان الذي ستتعشى فيه.. قاعة الطعام فيه تطل على نهر الهدسون، والمنظر جميل وجذاب.

صحيح إنه أجمل مكان للعشاء، لكن باعتقادها، أن هذا بسبب صحبتها لدان... وجد لهما كبير الخدم طاولة على الشرفة المقفلة بزجاج، حيث بإمكانهما تناول الطعام والتحدث على انفراد نسبي إضافة إلى التفرج على الشمس وهي تغيب وراء خليج نيويورك، تاركة مياه النهر تلمع تحت تأثير أشعتها البعيدة.

قالت أنجيلا له، وكلها أمل أن لا يكون جاء برفقة بيرنيس إلى هنا من قبل، لكنها صرفت النظر عن الفكرة لقرب المكان من منزل أمه:

ـ المكان سماوي الجمال دان.

ـ أأعجبك؟ هذا ما اعتقدته.

ـ لا بد أن المكان رائع هنا في فصل الربيع.

ـ صحيح.. المكان جميل جداً في نيسان وأيار.. سأجيء بك إلى هنا في الربيع القادم، وسترين جماله بنفسك.

ـ ستفعل حقاً؟

ـ أجل، ألا يعجبك ذلك؟

ـ بلى، كثيراً.

ولم تدر إذا كانت قد ارتاحت أم انزعجت لوصول الطعام في تلك اللحظة وبالتالي إزالة التوتر عن أعصابها.

مرّ العشاء بارتياح وسعادة.. وقد لاحظت أكثر من مرة مدى دهشة دان وهو يتمتع بوقته.. فهو على أية حال مرّ بأوقات عصيبة خلال

الأسابيع الماضية: فسخ خطبته ومرض أمه. فمن الطبيعي إذن أن يجد الراحة والسعادة في أمسية مريحة برفقة فتاة ساحرة بدأ حقاً في معرفتها جيداً.

تحدثا عن الكتب التي قرآها، والمسرحيات التي حضراها. ومرة أخرى لاحظت أنه مندهش لاكتشافه فيها شخصاً يتوافق مع ذوقه الخاص، حتى حين اختلفا في وجهات النظر. ورغم حدّة النقاش في بعض الأحيان، إلا أنه كان مسلياً ومفيداً.

لم يلاحظ أي منهما مرور الوقت.. وفكرت.. أمر غريب، كيف يمكن لها دائماً أن تنسى الوقت وهي مع دان، وكان الظلام قد سيطر على المكان حين قال:

ـ الأفضل أن أعود بكِ الآن، فالوقت متأخر وأنتِ تسكنين في الطرف الآخر من المدينة.

ـ إنها مسافة طويلة، وستضطر إلى العودة المسافة نفسها وحدك.

ـ أستطيع تحمل هذا.

ـ وفي الغد ستقطع المسافة نفسها للوصول إلى المكتب.

فقال ضاحكاً:

ـ أتحاولين التخلص مني؟

ـ بالطبع لا.

ـ إذن كوني فتاة طيبة وتوقفي عن الاحتجاج. سأعود بكِ إلى منزلك بنفسي.

فابتسمت:

ـ حسناً.. مع أنني وعدتُ أمك بالعناية بك.

ـ لم تقصد أمي أن توفري عليّ المسافة إلى بيتك بذهابك في تاكسي...

كانت رحلة العودة في الظلام، أكثر بهجة من رحلة النهار.. تحدثا

قليلاً.. لكنها كانت تحس بالتناغم الكامل بينهما، وتظن أنه كان يشاركها هذا الإحساس.

بدا لها، وكأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن طويل، فهما بإمكانهما التمتع بصحبة بعضهما دون التفوه بكلمة... وفكرت.. في كل حياتها.. لم تتمتع بعلاقة مثل هذه، فهي تشعر بجمال الحياة أكثر، وتحس بقيمتها كإنسان حقيقي له ميزاته الخاصة...

وحادثت نفسها مبررة شعورها الجميل: «ربما هذا لأنني أحبه... ولست يائسة من حبي هذه المرة».

عندما وصلت إلى منزلها وقبل تركها دان قالت له:

ـ لست أدري كيف أشكرك دان. كانت أمسية رائعة حقاً..

ـ دعي الشكر لي.. فلو أن أحداً قال لي منذ أسبوعين إنه يمكنني الشعور بالرضى مع الحياة كما أفعل الآن، لضحكتُ من كلامه.

ـ هل هذا.. صحيح.. حقاً؟

ـ أجل.

ـ كم أنا سعيدة.

فضحك وعانقها بسرعة ثم ودّعها قائلاً:

ـ يجب أن نعيد الكرّة عمّا قريب.

ـ رائع.. وربما في إحدى الأمسيات قد ترغب في تناول العشاء في شقتي. لن أستطيع طبخ طعام كالذي تناولناه الليلة.. إلا أنني أضمن لك طعاماً جيداً.

ـ اتفقنا، وأنا أكيد أن العشاء سيعجبني كثيراً.

حين انطلق مبتعداً جرّت أنجيلا نفسها تغمرها السعادة إلى شقتها. حيث وجدت على السجادة في الداخل، رسالة من بيرنيس، أدخلت من تحت الباب... وقد تعرفت فوراً على خط بيرنيس قبل أن تلتقطها.. وكما في المرة السابقة، جعلتها رسالة بيرنيس تحس بالقشعريرة والخوف.

دون أن تنتظر خلْع معطفها، التقطت الرسالة وفتحتها بعد أن وقفت قرب المرآة في الردهة، وقد بدا عليها الشحوب.

«عزيزتي أنجيلا:

«كل شيء الآن على ما يرام مع أمي وأبي. حتى أن تشارلي توقف عن إزعاجي وانتقاده لي.. ومن الرائع العودة إلى المنزل.. لقد كنتِ محقة... لكن الحياة هنا مملة، وأظن أنني اشتقت إلى دان. والآن بعد اطمئنان أهلي على سلامتي، لا أريد التأخر عن مقابلة دان أكثر من هذا. ولا أستطيع الطلب منه المجيء لرؤيتي هنا، فهو سيرفض ذلك حتماً. إذن فالبديل الوحيد هو تطفلي عليك مرة أخرى لبضعة أيام.. لذا قررتُ المجيء نهاية هذا الأسبوع، قبل أن تتخلى عني شجاعتي. وعلى الأرجح سأصل يوم الجمعة وأنتِ في المكتب. أرجو منك ترك المفتاح لي مع... ما اسمها... مدبرة المنزل. أو قولي لها أن تدخلني.. سأعتني بنفسي، وأتناول الطعام وحدي وأحضر لك طعامك...

«أرجوك أنجيلا. لا تغضبي لقراري المفاجيء هذا. فعلى المرء أن يقرر فجأة وإلا تردد كثيراً لدرجة عدم القرار. وقد كنتُ سخيفة في عدم ملاحقة دان طوال هذه المدة.. لكنني صممتُ الآن التعويض عن هذا في أسرع وقت ممكن.

«سأكون على ما يرام وحدي في الشقة، فإذا كان لديك أية خطط فاستمري بها دون اهتمام بي...

مع حبي... بيرنيس»

نظرت أنجيلا إلى صورتها الشاحبة في المرآة ثم صاحت:

ـ يا إلهي.. لكن يوم الجمعة غداً! يوم الجمعة في الغد! يجب أن أوقفها! لا يمكن تحمل مجيئها إلى هنا الآن.

أوه.. لكن طبعاً أستطيع.. حتى أنه بإمكاني القول لدان إن رسالتها هذه هي التي أعطتني المعلومات عنها بأنها لم تتزوج بارني...

وهذ ما سأفعله.. إذا رتبتُ أموري بدقة، سيكون كل شيء على ما يرام. أوه.. كم سأكون شاكرة للسماء على تسوية كل شيء، وقدرتي على قول الحقيقة أخيراً لدان...

أمسيتها مع دان، كانت مسؤولة بالطبع عن تخفيف شعورها بالخوف. فمن المستحيل بعد الآن عدم الثقة والشعور بأن ليس لها قيمة مميّزة عند دان.

لكن لا زال هناك خطر بالطبع أن يكون دان لا يزال يحب بيرنيس رغم هجرانها له من أجل رجل آخر.

لكن هذا أمر يجب مواجهته يوماً ما. ولن تكون أنجيلا في موقف أصعب من الآن لمواجهة الحقيقة ولمعرفة نتيجة الاختبار مهما كانت.

لكن القرار الذي توصلت له أي قول الحقيقة لدان، تلقى ضربة موجعة، حين عرفت هذا الصباح أن دان لن يكون في المكتب.. شيء ما تطلب اهتمامه الشخصي في مكان ما خارج نيويورك، فقد اتصل به السيد مارلو باكراً وطلب منه الذهاب رأساً من منزله إلى المكان المطلوب.

صحيح أن هناك الكثير من العمل يشغلها طوال النهار، لكنها كانت قد استجمعت كل شجاعتها لتخبر دان الحقيقة. فقد أدركت أن الأمر لا يحتمل التأجيل.

يبدو أن ما من أحد يعرف إذا كان سيعود دان بعد الظهر. وبمرور ساعات اليوم أخذت مشاعر الجبن والخوف تنمو في عقلها، لدرجة فكّرت أن الاعتراف لبيرنيس سيكون أفضل من الاعتراف لدان... ثم إن حب بيرنيس له ليس عميقاً لدرجة أن لا تحتمل التخلي عنه لابنة خالتها.. لقد سبق وتخلت عنه مرة، وبإرادتها الكاملة، من أجل بارني.. فلماذا لا تتخلى عنه الآن لأجل ابنة خالتها؟

حوالي نهاية بعد الظهر، وفي وقت قررت نهائياً أن تكون بيرنيس هي من تتلقى اعترافها... رن جرس الهاتف الداخلي على مكتبها،

وعلمت أن دان وصل، ويريد إملاء بعض الرسائل عليها.

حتى آخر لحظة كانت تظنه لن يصل اليوم. ومشكلتها الوحيدة كانت أن تقرر هل ستخبر بيرنيس كل شيء، أو بعض الحقيقة في المساء، لكنها الآن، بعد وصول دان المفاجيء.. أصبح أمامها كذلك أن تقرر هل ستخبر دان أيضاً كل شيء، أو تخفي عنه بعض الحقائق.

بقلب كاد يتوقف هلعاً، التقطت الدفتر والقلم...

سوف تتلقى الرسائل أولاً.. بالطبع. حتى مع انشغالها وتركيزها، يمكن لها أن تقرر ما إذا كان مزاج دان مناسب لما ستقوله له.. ليس عليها بالتأكيد أن تقرر قبل أن تراه.. لكن ربما من الأفضل...

أصبحت الآن عند الباب، يدها على المقبض.. وحين تراه طبعاً ستتوصل إلى قرار.

دخلت أنجيلا مكتب دان.. فاستدار شخصان نحوها بنظرة حيرة وتساؤل.. أحدهما كان دان... أما الآخر..! فكان المفاجأة... بيرنيس!

* * *

٩ ـ لأنني أحبه...

لم تكن أنجيلا لتتصور مطلقاً حتى في أسوأ الكوابيس، موقفاً كهذا. كانت تفكر باعتراف كامل شامل لأي واحد منهما، وفي ظروف تختارها بنفسها، وقد تقبّلت هذه الفكرة.. لكن أن تقوم بهذا الاعتراف لكليهما معاً ودون أي تحضير، فهذا أمر مرعب رهيب لم تحسب له أي حساب، وكادت تستدير على عقبيها وتهرب من مواجهته.

لكن دان بصوته الهادىء، قال دون أي انفعال:

ـ ادخلي أنجيلا.. بيرنيس كانت في نيويورك و... مرّت لتراني. أكنتِ تعرفين أنها لم تتزوج من بارني؟

فقاطعته بيرنيس بتوتر غير عادي في لهجتها:

ـ طبعاً تعرف! لقد قلتُ لكَ هذا! ولستُ أفهم كل هذا الغموض... أنجيلا.. دان يدّعي أنه لا يعرف شيئاً عن أنني تركت بارني.

ـ هذا صحيح، لم يكن يعرف شيئاً...

حتى لنفسها بدا صوتها غريباً، وحاد النبرات... فقال دان بصوت فيه بعض القلق، وبعض الحيرة والتحفظ:

ـ اجلسي أنجيلا.

جلست أنجيلا بسرعة، لإحساسها بأنها لن تستطيع الوقوف أكثر بينما أخذت كلمات بيرنيس ترن في أذنيها كدويّ النحل:

ـ لكنك قلتِ إنك أخبرته.. ولستُ أفهم... وعدتني بشرح الأمر

له... وبمحاولة تدبير لقاء لي معه.. قلتِ لي...

فقاطعتها أنجيلا بحزم:

ـ لم أعدكِ بشيء!

فغرت بيرنيس فمها الجميل، وقالت بذهول:

ـ لكنكِ فعلتِ! وكنتُ أنتظر لقائي مع دان بمساعدتك...

ـ ليس بالضبط. أنت من افترضتِ أنني سأفعل هذا. و.. وتركتكِ على ظنك...

ـ لكنك وعدتني بلقاء دان بعد أن أجبرتني على العودة إلى «يونيكا»... قائلة إن لا فائدة من رؤية دان في الوقت الحاضر... لستُ أفهمكِ أنجيلا! أنتِ لم تمارسي خدعة قذرة كهذه على أحد من قبل. على الأقل هذا ما أعرفه! فماذا دهاك؟ ولماذا فعلتِ هذا؟

تدخل دان ليقول بصوت هادىء وبلهجة هادئة أيضاً:

ـ صحيح أنجيلا.. لماذا فعلتِ هذا؟ هذا هو السؤال.

حافظت أنجيلا على وعيها الكامل فيما كان دان وبيرنيس ينتظران ردها، بيرنيس تميل إلى الأمام في مقعدها، حمراء الوجه، لامعة العينين، ودان يقف قرب طاولته ينظر إلى أنجيلا برزانة، وقليل من الريبة والحيرة. وبعد برهة من الصمت والقلق، ردّت أنجيلا بصوت أجش تخالطه الغصة:

ـ اعتقدتُ أنني بهذا أتصرف لخير الجميع.

سألتها بيرنيس:

ـ لخير من؟

ـ كلنا.. لكن الأكثر.. دان.

صاحت بيرنيس بارتياك وغضب:

ـ لستُ أدري ما تعنين.

وقال دان:

ـ يجب أن تفسري لنا هذا أكثر، أنجيلا.

ـ حين عادت بيرنيس أول مرة... غير مكترثة وواثقة من نفسها... لتلتقط الأمور من حيث تركتها، فكرتُ أن على دان الحصول على فرصة للتفكير بوضوح، حتى لا ينجرف إلى.. الافتتان مرة أخرى...

صاح دان محتجاً وغاضباً:

ـ حقاً أنجيلا... ليس من حقك اعتبار مشاعري نحو بيرنيس كنوع من الافتتان. وهذا تدخل لا يمكن تبريره مطلقاً لترتيب حياتي من جديد.

تمتمت أنجيلا وقد اختنق صوتها:

ـ كنتُ أقصد الأفضل لك...

فاستطرد دان وقد بدا عليه الحيرة والتساؤل:

ـ لكن لماذا أعطيت نفسك دور الحكم؟ لا أفهم تصرفكِ أنجيلا، وأشعر أن هناك أكثر مما شرحته لنا.

فتدخلت بيرنيس بحدة:

ـ أؤكد أن هناك الأكثر، وإلا لماذا كل هذا الخداع؟ لو أنك لم تكذبي عليّ كثيراً، وأنا متأكدة أنكِ كذبت، لما فهمتُ منكِ بالتحديد أنك تحدثت مع دان بالأمر، وأنه لم يسامحني بعد، وأن عليّ الانتظار بعض الوقت لأتحدث معه.

نظر دان إلى أنجيلا نظرة حيرة، لكنها لا تخلو من بعض الشفقة. ومع أن هذه النظرة أثارت اليأس في قلبها، إلا أنها من جهة أخرى طمأنتها قليلاً. فردت بهدوء أكثر وقد عاد التوازن إلى صوتها:

ـ أنا آسفة لما بدا لكما أنه تصرف سيء مني... وأنا أعتقد أنني قد أكون استخدمتُ أسلوباً غير لائق، لكنني كنتُ مؤمنة بصدق أن أي فتاة تهرب من زفافها مع رجل آخر، ثم تكتشف أنها لم تعد تريده، تحتاج إلى وقت كافٍ حتى تتأكد من أنها تريد فعلاً العودة إلى حبها القديم.

فصاحت بيرنيس ساخطة:

- ليس من حقك أخذ مسألة التقرير في هذا على عاتقك، فهذا ليس من شأنك. وأنا لست صغيرة حتى تقرري عني ما يجب عليّ فعله...

وهنا ردت أنجيلا بلهجة لاذعة:

- بلى.. إنه من شأني. لقد أجبرتني على أن يكون لي شأن بالأمر.. لقد تركتِ لي مهمة إخبار دان عن تصرفك المشين. وتركتِ لي مهمة تسوية الوضع المريع الذي تركته خلفك... ودان من جهته، طلب مني انتحال شخصيتك... ثم أوكلتِ لي مهمة الشرح له كذلك حين رجوعك. والآن تحاولين القول إن هذا ليس من شأني؟ أوليس لي رأي أو مشاعر في الأمر كله؟

ساد صمت كامل في المكتب.. ثم قال دان ببرود بعد أن عاد هدوءه إليه:

- لستُ أدري ما دخل مشاعرك بالأمر أنجيلا. الرأي من حقك، لكن حتى في هذا تطاولت أكثر من اللازم في فرض رأيك علينا. فالأمر عائد برمّته لي كي أقرر ما أرغب بفعله بعد عودة بيرنيس، ولست أفهم لماذا ظننت أن من حقك الامتناع عن إخباري بعودتها. خاصة وقد سألتك عنها، فهذا يُعتبر خداعاً متعمداً. أما بالنسبة لإجبار بيرنيس على العودة إلى «يونيكا»...

فقاطعته أنجيلا بحدّة:

- أنا لم أجبرها على العودة!...

ردت بيرنيس بنفس الحدة:

- بلى، أجبرتني. حتى إنك أوصلتني إلى القطار بنفسك، وكأنني سجينة تجت إمرتك.

فقال دان بجفاء:

- لا أظن أننا بحاجة إلى تفاصيل تصويرية كهذه بيرنيس.. فالأمر الواقع هو أن أنجيلا اتخذت كل أنواع الحيطة لمنع معرفتي بعودتك

وأنك تودين رؤيتي، وهي الآن آسفة لما حصل.

ساد العبوس وجهه قليلاً، ثم تابع ببطء وقد وجّه كلامه نحو أنجيلا:

- إضافة إلى هذا، تعمدتِ تجنب أسئلتي حول أية أخبار عن بيرنيس. لقد خدعتني متعمدة يا أنجيلا.

لم تعد أنجيلا تتصور لماذا أقدمت على مثل هذا العمل الطائش. وراعها التفكير بأنها طبّقت كل أنواع الكذب في محاولتها منع دان وبيرنيس عن اللقاء. ولم تعد تفهم لماذا بررت تصرفها لنفسها، وهي التي ما تعوّدت سوى قول الصدق والتعامل على أساسه. وكأنما استعادت وعيها من غيبوبة هذيان ونظرت إلى خطئها بوعي أكبر... آلمها اتهام دان لها بخداعه، وهو محق في ذلك، إلا أنها شعرت بعدم تحملّها لمثل هذا الاتهام... لكنها مضطرة لتحمله. فهمست:

- أنا آسفة!

أشار دان إشارة صغيرة بيده، وكأنها تعبير مشترك بين نفاذ صبره وتوتره. وقال بحزم:

- حسناً.. ليس هناك ما يقال بعد في الموضوع.

فأدركت أنجيلا أن الود الحميم الذي جمعهما في الأيام السابقة قد انتهى، فوقفت قائلة:

- ألم تكن تريد إملاء الرسائل، أو أي شيء آخر؟

بدت عليه الدهشة، وكأنه نسي أن هناك أية صلة رسمية بينهما.

- لا.. أوه لا... شكراً لك.

فتحت الباب وخرجت دون أن تسمع من دان أو بيرنيس أي كلمة وحتى هي لم تقل شيئاً، فهذه ليست لحظات مناسبة لتبادل الكلمات التقليدية عند الوداع.

حين عادت إلى مكتبها، كانت كل زميلاتها ما عدا واحدة، يضعن الأغطية على الآلات الكاتبة استعداداً للرحيل، فأدركت متفاجئة كم أن

الوقت تأخر. وقالت لها إحدى الفتيات مشفقة:

ـ أكان يملي عليكِ طوال هذا الوقت؟ ما هذا الظلم... فالوقت متأخر...

ذُهلت أنجيلا لسماع صوتها بهدوء:

ـ لا.. لم يكن يملي علي شيئاً.. كنا نتناقش بأمرٍ ما.

ـ أوه.. أهو شيء لإعادة الطبع والتصحيح في الحال؟

ـ لا.. مجرد نصف صفحة.

ـ هل أساعدكِ، يبدو عليك الإرهاق؟

ـ شكراً لك.. لا..

ابتسمتا لبعضهما، وتودعتا... حين خرجت أنجيلا، كان الجو في الخارج دافئاً ورائعاً.. إنها أمسية للأحبة والناس السعداء... أمسية يسير الناس فيها ببطء وينظرون إلى بعضهم بلطف لمجرد السعادة بكونهم أحياء.

لكن أنجيلا لم تكن تشعر بالسعادة لأنها حية، فهي تشعر الآن أن الحياة لا تستأهل التعب والعيش... ليس فقط لأنها خسرت دان.. بل لأنها تشعر بخسارتها احترام نفسها أيضاً، ولم تدرِ أيّ الخسارتين أشد إيلاماً.

لا بد أنها استرسلت في المشي ما يقارب الساعتين... حين دفعها الإحساس بالتعب والجوع للسعي إلى مكان تجلس فيه لتأكل شيئاً. فهي حتى الآن لا تستطيع مواجهة الذهاب إلى شقتها، فقد كرهت صحبة نفسها لنفسها، وكرهت تحضير الطعام لنفسها، فدخلت إلى مطعم تعرفه من قبل واختارت دون تفكير أول ما وقعت عيناها عليه في لائحة الطعام.

وهي تأكل، لم يتوقف تفكيرها بما حصل: ربما لم يكن كل شيء بالسوء الذي ظنت.. ربما سيسامحها دان حين تشرح له حقيقة الأمر في غياب بيرنيس، وإذا لم يسامحها فستعمل على نسيانه، هي تدرك أن

ذلك من الصعوبة بمكان، إلا أنه ليس مستحيلاً مع الإرادة والعزم...

لكن شعوراً مفاجئاً سيطر عليها، جعلها واثقة من أن الأمور لن تصل إلى هذا الحد... وحين خرجت من المطعم لم تعد تشعر برغبة في المزيد من المشي، فركبت أول باص باتجاه شقتها.

حين دست المفتاح في قفل الباب وفتحته، أحسّت على الفور بأن هناك شخصاً في الداخل، فقد كان النور ينبعث من غرفة الجلوس.. فصاحت بحدة وقلق:

ـ من في الداخل؟

ـ هذا أنا... بيرنيس.. لماذا تأخرت؟

تقدمت أنجيلا ببطء إلى أن وقفت بباب غرفة الجلوس:

ـ لكن.. ماذا.. تفعلين... هنا؟

كانت بيرنيس تجلس في مقعدها المفضل تحتسي الشاي وجو الحرية المنزلية من حولها. وبدت عليها الدهشة بدورها لسؤال أنجيلا، فأجابت:

ـ ألم تكوني تتوقعين وجودي هنا؟ كتبتُ لكِ لأقول إنني قادمة!..

ـ لكن هذا كان قبل...

ـ أوه.. أعرف. لكن ليس لي مكان آخر ألجأ إليه.. أعني أن الأمر سيبدو سخيفاً إذا حاولت إيجاد غرفة في فندق في وقت قلتِ لي فيه إن بإمكاني المجيء إلى هنا ساعة أشاء...

ـ صحيح!

صُدمت أنجيلا، وليس للمرة الأولى، من نفسية بيرنيس المتفردة في أنانيتها.. كل شيء يجب أن يخلي الطريق أمام متطلباتها الخاصة... فالمجيء إلى شقة ابنة خالتها أفضل بكثير لها من مشقة البحث عن غرفة في فندق. وهكذا، مهما كان الموقف متوتراً وغير ملائم بينهما، فعليها أن تتجاهله... خلعت أنجيلا معطفها، وجلست قبالة بيرنيس التي قالت:

ـ تبدين متعبة.

ـ صحيح! فأنا أشعر بالتعب.. لقد سرتُ كثيراً.

ـ لماذا؟ أعني أكنتِ ذاهبة إلى مكان ما أم لمجرد التمشي؟

ـ لمجرد التمشي...

بيرنيس لم تكن حساسة جداً للكلام أو للهجته أو رنته.. مع ذلك فقد نظرت إلى ابنة خالتها لسماعها البرودة في صوتها:

ـ أنجيلا.. يجب.. أعني لا يجب أن تتكدري هكذا حول ما جرى...

استلقت أنجيلا إلى الوراء قليلاً في مقعدها وردت بهدوء:

ـ أنا لست متكدرة.. لكن ما جرى اليوم بعد الظهر ليس بالأمر المستساغ.

ـ أجل... أعتقد أن معكِ حق.. لكن لا بد أنكِ توقعت شيئاً من هذا. إلا إذا كنتِ تخدعين نفسكِ بأننا لن نكتشف شيئاً، وما زلت أتساءل... لماذا فعلتِ هذا؟ لماذا بحق السماء حاولت خلق الفتنة بيني وبين دان؟

فردت أنجيلا بحدة:

ـ لم أحاول خلق الفتنة. فمن الواضح في نظري أن الفتنة كانت موجودة.. وأنتِ من افتعلتها بهربك يوم عرسك، وما حاولتُ فعله أنا منع لقائك مع دان ثانية...

ـ الهدف هو نفسه... لكن ما زلت لا أفهم لماذا...

ردت أنجيلا بصراحة فجة:

ـ لأنني أحبه...

للمرة الثانية اليوم فغرت بيرنيس فمها بذهول كامل، ثم قالت بصوت أجش من أثر الصدمة بعد أن اعتدلت في جلستها:

ـ هل أحببت دان أنجيلا؟.. لكن.. منذ متى؟ أعني، متى بدأتِ تشعرين بحبه؟

ردت أنجيلا وهي تشعر بالوهن والهزيمة وقد قررت قول الحقيقة القاسية:

ـ منذ البداية تقريباً.

ـ أتعنين قبل زفافي حين كنتِ مقيمة عندنا في يونيكا؟..

ـ أجل.. وخباتُ حبي يومها، بالطبع لأنه كان سيتزوجك.. لكن بشعور خفي، أحسست بالسعادة يوم هروبك مع بارني.

للمرة الأولى بدت بيرنيس رزينة مفكرة:

ـ هكذا إذن... وحين طلبَ منك الحلول مكاني...

ـ أردتُ فقط مساعدته للخروج من ورطته.. لكنني كنتُ سعيدة لأن الطريقة التي أساعده بها تعني أن أكون معه.

ـ مسكينة أنجيلا... أعرف أن الأمر فظيع إذا تورطت فتاة في حب رجل مثل دان... أعرف أنكِ لن تصدقيني.. لكن المرء يتغلب عادة على مثل هذه المشاعر بالتدريج.. فحين حصل الفراق بيني وبين بارني ظننتُ أني لن أكون سعيدة مرة أخرى.. لكنني تغلبتُ على الأمر.

ـ الأمر مختلف هنا. أنتِ لم تحبي بارني.

ـ أوه.. لكنني كنتُ أحبه يومها. وسترين أنجيلا.. ستجدين شخصاً آخر، وستتعجبين حينها كيف كنتِ ترغبين بدان.

كانت بيرنيس تتكلم وكأن دان لها! وتساءلت أنجيلا عما قيل بينهما بعد مغادرتها للمكتب.. وشدّت على أسنانها رافضة تخيل فرحة الصلح، التي أعطت بيرنيس كل هذه الثقة بالنفس كي تتكلم عن دان وكأنه لها مرة أخرى، وكأنه لم يحصل أي تنافس بينهما.

وراحت تفكر: إذا كانا قد تمكنا من إصلاح ما بينهما بسهولة هكذا، فهذا يعني أنهما يحبان بعضهما ومناسبان لبعضهما... وهذه الحقيقة آلمتها. فقالت لبيرنيس وهي تقف:

ـ أظن أنني سأذهب الآن إلى النوم.

ـ لا يزال الوقت مبكراً.

ـ أجل لكنني متعبة.

عند الباب، استدارت إلى بيرنيس وسألتها:

ـ وما هي خططك؟

ـ لهذا المساء؟

ـ لا.. بل للأيام التالية.

ـ حسناً.. فكرتُ أن أبقى هنا بضعة أيام، إذا كان هذا لا يضايقك...

عضت أنجيلا على شفتها لغباء ابنة خالتها وقلة اكتراثها، وكبحت اندفاعاً مفاجئاً لأن تنفجر في ضحك هستيري... ثم قالت بعد جهد:

ـ لا، هذا لا يضايقني أبداً.

كانت بيرنيس تبدو متسامحة وكريمة الأخلاق... كان الأحرى بها عدم التحدث مع ابنة خالتها بعد كل الذي حصل. لكن لو أنها رفضت الكلام مع أنجيلا لحُرمت نعمة المبيت في شقتها... ربما بيرنيس هي المتعقلة، وبقية الناس... من لهم كرامة واحترام نفس.. هم البلهاء في هذه الحياة...

ثم سألت أنجيلا ابنة خالتها:

ـ بيرنيس.. أقال دان شيئاً بعد خروجي؟

فابتسمت بيرنيس وقالت بنشوة المنتصر:

ـ أجل.. بالطبع.. لقد قال الكثير. ماذا تظنين غير هذا؟

مررت أنجيلا طرف لسانها على شفتيها:

ـ لم أقصد هذا.. بل عنيتُ عني... هل قال لك شيئاً عن صدمته بي أو احتقاره لي؟ أو فقداني لاحترامه.

ـ لا.. لم يبدو مستعداً للبحث بدورك فيما جرى. وقد قلتُ له إنني أستغرب ما قمتِ به. والأمر فعلاً غريب أنجيلا، إلا أن استغرابي الآن قد زال، طبعاً بعد معرفتي بأنكِ قد أحببتِ دان...

ـ طبعاً.. وما كان رده؟

ـ قال: لن أناقش دور أنجيلا في الأمر كله الآن. وتركنا الموضوع عند هذا الحد.

ـ فهمت.

ثم تمنت أنجيلا لبيرنيس ليلة سعيدة ودخلت غرفة نومها..

لم يعد أمامها شيء تود معرفته، لا شيء تجيل التفكير فيه.. كل ما قاله دان: لن أناقش دور أنجيلا في الأمر كله.

سبع كلمات.. ربما تعني شيئاً.. أو على الأرجح.. لا تعني شيئاً.

بعد أن خلعت ثيابها، واستلقت في الفراش، وفي وقت متأخر كثيراً عن موعد خلودها للنوم، لم تبرح تفكيرها كلمات دان السبع، وراحت تتساءل عما يعني دان بكلماته تلك: هل يعني أنه يشمئز من مجرد الحديث عنها... أو أنه يعني أنه يفكر بها بمحبة ولا يريد البحث بتصرفاتها غير المبررة معه ومع بيرنيس. أو أنه يمكن أن يعني، وقد يكون هذا صحيحاً، أنه وبيرنيس، وبعد عودتها ليسا بحاجة للحديث أو التفكير بأنجيلا، لأنها لم تعد ذات أهمية له. ووقف تفكيرها عند هذا المعنى:

أجل.. إنها الفكرة الأخيرة لا شك. هذا ما عناه بقوله: لن أناقش دور أنجيلا في الأمر كله.. فالآن لديهما مواضيع كثيرة أخرى هامة يودان بحثها مع بعضهما.

ودفنت وجهها بالوسادة بعد أن بدأت بالبكاء، حتى لا تسمع بيرنيس صوت بكائها...

* * *

١٠ ـ غصن الزيتون

استيقظت أنجيلا في الصباح التالي وهي ما تزال تشعر بتعب جسدي ونفسي يرافقه رغبة عارمة بالهرب مما تعانيه من متاعب لم تكن لتخطر لها على بال. وللحظات استلقت تتساءل لماذا تحس بالكراهية للنهوض من السرير.. ثم تذكرت بهلع وتوتر أنها لن تستطيع الذهاب إلى عملها.. فمن المستحيل أن تتمكن من مواجهة دان بعد الذي حصل.

وراحت تفكر في عدّة إمكانيات غير معقولة: قد تتصل بالمكتب وتدّعي المرض، وبإمكانها إطالة مدّة الادّعاء بالمرض، ثم ترسل استقالتها بالبريد، دون العودة إلى هناك أبداً.

لكن التعقل شقّ طريقه بقساوة إلى تفكيرها، فعلمت أن المرء لا يمكن له الهرب من المسؤوليات ببساطة. فبعيداً عن مسألة الولاء الوظيفي، شعرت أنها إذا أدارت ظهرها هكذا للصعوبات التي تواجهها الآن، فستكون أكثر ضعفاً كلما اعترضتها أزمة فيما بعد. إذن ما عليها إلا النهوض من السرير والذهاب إلى عملها وكأن شيئاً لم يهز كيانها بالأمس. واستعدت للمواجهة مهما كانت النتائج...

أرسل دان في طلبها حال وصولها إلى المكتب.. فسيطر عليها التوتر للحظات وهي تتحرك من غرفتها إلى غرفته... لكن بعد دخولها شعرت بزوال التوتر. فقد حيّاها بأفضل ما هي عليه أخلاقه الرسمية، وبدأ يملي عليها الرسائل كالعادة. غيابه في اليوم السابق يعني أن هناك الكثير من الرسائل المتأخرة، وأحست أنجيلا أن ضربات قلبها عادت

إلى طبيعتها، وتنفسها أصبح أقل عمقاً وأكثر هدوءاً... كما عادت سرعتها في الاختزال بعد أن بدأت ببطء.

حين انتهى، أعطاها بعض التعليمات، لكنه كان ينظر إلى أوراقه بدلاً من أن ينظر إليها. وبعد أن خرجت من مكتبه شكرت الله على مرور أول مواجهة مع دان بسلام، مقنعة نفسها أن لا شيء بعد الآن سيكون صعباً.

فيما بعد، وخلال الأيام القليلة التالية، بقيت تصرفات دان كما هي.. فالأزمة... إذا أمكن تسميتها بالأزمة... لم تؤثر على علاقة العمل بينهما، فبقي وضع العمل عادياً ومقبولاً وهذا أكثر ما تمنته أنجيلا في الوقت الحالي.

لكن ومع مرور الأيام، شعرت أنجيلا بالإحباط والقلق، فقد كانت تظن أنه يكفيها معرفة عدم كره دان لها أو احتقاره لفعلتها، كما اعتقدت أنها يمكن اعتبار نفسها محظوظة إذا استطاعت المحافظة على العمل معه وإذا لم يظهر لها أي امتعاض أو نفور.

لكنها اكتشفت أنها كانت مخطئة، فما من فتاة تحب بصدق، باستطاعتها تحمل هذا الوضع الهزيل والروتيني واللامبالاة مع من تحب. صحيح أنها تشعر بالارتياح لهذا الوضع، إلا أنها بدأت تحس بأن هناك تغييراً طفيفاً، لكن جوهرياً في علاقتها مع دان.

لم يكن دان قطّ سوى مهذباً معها، لكن دون دفء... كان مراعياً جداً لمشاعرها كرب عمل، لكن ليس أكثر مما يمكن أن يكون مع أي موظف آخر. حياتها في المكتب كانت خالية من التوتر، لكن دون تلك اللحظات من السعادة التي كانت تشعر بها فيما مضى وهي تعمل مع دان.

أن تكون معه، دون تلك اللمسات الرقيقة التي تجعل الحياة جميلة ومحبوبة... ومعرفتها بأنه قد أقام حواجز لا يمكن زحزحتها في طريق صداقتهما، فهذه أمور لا تستطيع تحملها طويلاً.

صحيح أنه لم يكن هناك شيء تمتعض منه منطقياً، لكن في الواقع هناك تغيّر طرأ على علاقتهما. حتى ولو لم يكن يلومها سراً، أو يحتقرها لما فعلته، فالواقع يبقى أن بيرنيس عادت مجدداً إلى حياته. بيرنيس هي الفتاة التي يحبها، وبيرنيس هي الفتاة التي يخطط لمستقبله معها. ويبدو أنه سامحها على تركها له ثم تقبّل رجوعها إليه، وطبعاً ذلك بدافع الحب.

أحياناً، كانت تفكر برمي كرامتها جانباً وإمطار بيرنيس بأسئلتها: ماذا قررا؟ هل عادا إلى خطوبتهما؟ كيف تصالحا؟ هل سامحها بسهولة؟ إلى ما هنالك، ثم هل خططا للزواج ثانية؟ ومتى؟

لم تكن بيرنيس من النوع الذي يتطوع عادة بإفشاء المعلومات، لكنها كانت تتحدث دائماً عن هذه المسرحية، أو ذلك الفيلم السينمائي الذي حضرته. لكنها لم تقل يوماً إذا كانت تذهب وحدها أم مع رفيق. لكن على كل حال، كما فكرت أنجيلا، فبيرنيس ليست من النوع الذي يحب الذهاب وحده.

أخيراً، وبعد مرور أسبوع على هذه الحال، جمعت أنجيلا شجاعتها لتسأل بنت خالتها:

ـ كم تنوين البقاء هنا بيرنيس؟

اتسعت عينا بيرنيس من الدهشة وقالت بارتباك:

ـ أتعنين أنك على وشك الضجر مني؟ وتودين رحيلي في أسرع وقت؟

ـ لا.. لا أعني هذا.. لكن، أتوقع أن يكون لديك خططاً للمستقبل. أتنوين العودة إلى منزلك قريباً.. أم...

ـ أوه..! أنا لن أعود إلى المنزل خاصة ودان موجود هنا الآن.

ـ أتعنين.. أنك تستفيدين من وقتك حالياً في رؤية دان؟

نظرت إليها بيرنيس بخبث وسخرية:

ـ مهلك لحظة أنجيلا.. فأنا لن أبحث معك ما يجري بيني وبين

دان... ولا أريدك أن تفسري الأمور ثانية كما يحلو لك عزيزتي!.

احمرّ وجه أنجيلا خجلاً، ثم سيطرت على خجلها وعلا صوتها قائلة:

ـ بيرنيس! أتظنين أن هذا سبب سؤالي؟

ـ يمكن أن أظن هذا.. ولا ألومك.. لكن يكفيك رداً على سؤالك أن تعرفي أن الوضع شديد الدقة، ولا أنوي حصول تعقيدات فيه عن قصد أو غير قصد، على يد شخص آخر أياً كان. ولا أعني أية إهانة لك حبيبتي، يجب على كل فتاة الاعتناء بنفسها، ويجب أن تكوني شاكرة لهذا.

تمنت أنجيلا لو أنها لم تسأل، فهي لم تحصل على معلومات حقيقية...

وتوالت الأيام من يوم لآخر، وحتى من ساعة إلى أخرى.. كانت أنجيلا تشعر بازدياد الغربة بينها وبين دان. ثم، وفي نهاية الأسبوع الثاني، حدث شيء كانت قد فقدت الأمل منه، فقد ناداها باسمها الأول مرة أخرى.. كانت تجمع أوراقها لتخرج من مكتبه بعد فترة طويلة من الإملاء حين قال:

ـ أوه.. أنجيلا... والدتي سألت عنكِ مساء الأمس وهي متلهفة لرؤيتك.. أيمكن أن تجدي وقتاً للمجيء معي لزيارتها هذا المساء؟

ـ حسناً.. بالطبع. فأنا أحب رؤية والدتك...

ـ متى؟

ـ في أي وقت، أعني في أي وقت يناسبك.

ـ إذا كنت هذا المساء غير مستعدة، فلتتفق على موعد آخر...

ـ لا.. أبداً، لا مانع هذا المساء، ويمكنني الاتصال لقول إنني... سأتأخر في العودة...

ـ لا أريد إزعاجك بأية طريقة... لكن أمي لم تكن على ما يرام مؤخراً...

ـ أوه... كم أنا آسفة!

ـ وكلنا نسعى بجهد لإرضائها بأية طريقة.

ـ حسناً، سأكون سعيدة بالذهاب لرؤيتها.. كنتُ أود سؤالك من قبل عن حالتها. لكن...

ـ إذا كان باستطاعتك الذهاب حوالي الساعة الخامسة والنصف، فسآخذك معي في السيارة.

ـ سأكون جاهزة في الوقت المحدد...

وخرجت إلى الممر وهي تشعر بالارتياح. ثم سارت ببطء، فهي لا تريد أن يظهر عليها هذا الجو من البهجة والسعادة حين تنضم إلى زميلاتها. فلا شيء مميّز في طلبه، ولا شيء يدعوها للفرح!

نظرت إليها إحدى الفتيات وهي تدخل:

ـ هاي.. مرحباً.. هل ترك لكِ أحدهم ثروة؟

فضحكت أنجيلا محمرة الوجه:

ـ لا.. لماذا تسألين؟

ـ تبدين وكأنكِ كنتِ تنظرين إلى مستقبل ذهبي...

رفعت الفتيات الباقيات أنظارهن ليزدن من الضحك والتعليقات والتساؤلات. فأجابت أنجيلا على الفور:

ـ أوه.. لقد حصلت على تهنئة لحسن أدائي الجيد للعمل.

ـ أووه.. من السيد سايرز؟

ـ أجل.

ـ أنت المفضلة لديه.. أليس كذلك؟

ـ أوه.. لا.

قالت أخرى:

ـ إنه رجل لطيف ورائع.. ولا أستطيع تصور سبب تخلي تلك الفتاة التي كان سيتزوجها عنه بهذه السهولة.

ردت أنجيلا ببطء ودون أي انفعال:

ـ ربما.. ندمت بعد ذلك.

ـ لكن لن ينفعها ندمها!

ـ ماذا تعنين؟

ـ أوه.. إن للسيد سايرز كبرياؤه... ولا أعتقد أن أية فتاة تجعل منه أضحوكة قد تسنح لها فرصة أخرى للطمع في مسامحته وحبه لها من جديد...

بعد سماع أنجيلا هذا الكلام، لفّها صمت رهيب... وراحت تفكر: أيمكن لدان أن يعتبرها كذلك، أي أنها جعلت منه أضحوكة وبالتالي لن يسامحها... ثم أجابت زميلتها بسرعة منهية الحديث:

ـ ربما أنت على حق.

ثم جلست وراء مكتبها، وبدأت تعمل بسرعة لتكون جاهزة في الموعد المحدد ولو اضطرت للتخلي عن ساعة الغداء.

كانت كلما نظرت إلى الساعة، أمام ما أحسته من طول ذلك اليوم، تقول لنفسها: سأكون معه، بعد أربع ساعات.. بعد ثلاثة.. بعد ساعتين.. وحدنا.. في سيارته. من المستحيل أن لا يشكل هذا فارقاً في علاقتنا الفاترة بل والمتجمدة...

حين حانت ساعة خروجها للانضمام إليه، كانت متوترة أكثر مما كانت في لقائها السابق معه.. وتمنت لو أنها كانت تعرف مسبقاً، كي ترتدي ثياباً أقل رسمية من هذه البذلة الكحلية. ثم رمّمت تسريحة شعرها الناعم الجذاب، وبعد أن اطمأنت إلى هدوء وجهها عبر المرآة، التقطت حقيبتها، وخرجت من المكتب.. لتجد دان منتظراً في سيارته. وهي تتقدم نحوه فوق الرصيف، مال إلى جانبه ليفتح لها الباب. فقالت:

ـ آسفة لتأخري.

ـ لا.. أبداً.. أنا من خرج قبل خمس دقائق من الموعد.

صعدت إلى المقعد بجانبه، وهي تحس أكثر من أي وقت سابق

بخجل داخلي لقربها الحميم منه مرة ثانية. أدار السيارة، فقالت له بصوت هادىء:

ـ أخبرني عن والدتك، ما آخر أخبارها؟

ـ ليست جيدة. المشكلة طوال الوقت كانت في الحفاظ على قوتها. فعملية من هذا النوع كانت ناجحة، لكنها لم تستعد عافيتها بالسرعة التي كنا نتوقعها.

ـ لكن روحها المعنوية رائعة، وهي ترفض الاستسلام للمرض والوهن.. وهذا ما يبقيها متمسكة بالحياة أكثر من أي شيء آخر...

نسيت أنجيلا الآن خجلها وارتباكها، وأصبحت مهتمة بشكل حقيقي بصحة السيدة سايرز، أكثر من أي شيء آخر.

وسمعته يقول وكأنما يؤدي واجباً:

ـ لقد سألت عدة مرات عنك.

ـ عني؟ وماذا سألت عني؟

ـ أوه.. كيف حالك؟ ومتى ستأتين لزيارتها.. وهكذا.

ـ هل أخبرتها شيئاً؟

ـ أخبرتها أنكِ بخير، وأنني واثق أنكِ ستأتين لزيارتها، وقد وعدتها بأن أجيء بك لرؤيتها.

ـ لا.. لم أعنِ هذا.

ساد الصمت، ثم بعد قليل قال:

ـ لم أتحدث عما حدث في المكتب، إذا كان هذا ما تعنين.

ـ فهمت.. وهل تعرف بأمر بيرنيس؟

ـ لا.

وساد الصمت من جديد، إلا أنه صمت يحمل في طياته الكثير من الكلام...

وحين أحست أنجيلا أن الصمت طال أكثر من اللازم قالت:

ـ أتعرف أن بيرنيس تسكن معي؟

ـ أجل.. أعرف.

خلال الطريق، أشار دان إلى منظر جميل مرّا به، فذكرته أنه أشار إليه في مشوارهما السابق، فاعترف بهذا مبتسماً.. أحست بالسعادة لابتسامه لها من جديد، ولم يهمها بعد ذلك، لا مظهرها الرسمي ولا التفكير بكبريائها... وسمعت نفسها تقول:

ـ كنتُ أظن أنه لن يكون هناك مرة أخرى.

ـ صحيح؟ لكن ألم تذكري أن أمي كانت تريد رؤيتك، وبشكل خاص؟

ـ أجل.. لكن.. بعد ما حصل...

ـ الأطفال وحدهم من يتصرف على أساس «لن أكلمك ثانية» يا أنجيلا. أعتقد أن معظم الأصدقاء، وحتى الحميمين، يحدث بينهم خلافات من وقت إلى آخر. ولا يمكن للمرء الحكم على المستقبل من خلال هذه الخلافات.

ـ لا.. طبعاً لا...

بدا صوتها مخنوقاً حتى أنه استدار وسألها:

ـ أليس غصن الزيتون هذا مقبولاً؟

ـ أوه.. أجل.. بالطبع مقبول.

ـ ما الأمر إذن؟

ـ لا شيء.. لا شيء البتة.. أنا سعيدة لأنك تشعر هكذا...

في المستشفى أدخلا على الفور إلى غرفة السيدة سايرز، حيث أحست أنجيلا بالتأثر، فبالرغم من التحسن الذي بدا على حالتها... كانت السيدة سايرز أقل إشراقاً وحيوية من عادتها. حتى أنها بعد دقائق قالت إنها تجد الزيارات لها أمراً مرهقاً، ثم اقترحت خروج دان لتتحدث قليلاً مع أنجيلا.

لحظة أقفل دان الباب وراءه، تنفست والدته الصعداء بسرعة، ثم قالت بلهجة أكثر حيوية:

ـ لا بأس عليك حبيبتي، وأنا آسفة للتسبب في قلق دان... ولكنها الطريقة الوحيدة لإبعاده.. والآن أخبريني بسرعة ما الأمر؟

ـ أي أمر؟ ماذا تعنين؟

ـ ما قلته بالضبط. وكوني فتاة طيبة ولا تضيعي الوقت بالمواربة... كل شيء كان يسير بصورة جميلة يوم كنتما معاً هنا آخر مرة. ثم فجأة توقف دان عن التحدث عنكِ، وأنتِ لم تأتِ، واضطررتُ إلى إخافته كي يجيء بكِ، وهذا ألزمني الكثير من الجهد لأبدو فعلاً تعبة. ولحسن الحظ أبقيته بعيداً عن التحدث للطبيب... لكنني كنتُ أشعر بالحزن لاضطراري إلى التظاهر بالضعف كلما اقترب المسكين مني.

ضحكت أنجيلا بارتباك:

ـ سيدة سايرز... أنتِ عنيدة، لا سبيل إلى مواجهتك! فأنتِ تشبهين الطفلة المدللة التي تريد كل شيء أكثر من كونك والدة دان.. ثم أتريدين القول إن كل هذا التراجع المقلق في صحتك مجرد فخ لإقناع دان بالمجيء بي إليك؟...

ـ لا.. ليس تماماً.. فقد حصل لي نكسة خفيفة منذ أسبوع.. وسألني دان يومها إذا كان هناك شيء أرغب به، ففكرتُ أنه حان الوقت لأطلب رؤيتك. وحين رفض، قررتُ أن لا تتحسن صحتي إلى أن أحصل على ما أريد. والآن أخبريني بسرعة هل تخاصمتما؟

ـ لا.. لم نتخاصم، بالضبط.

وظهرت التعاسة على وجه أنجيلا، فقالت السيدة سايرز وقد فقدت صبرها:

ـ إذا كنتُ سأقتلع منكِ كل الوقائع كما اقتلع الضرس المتألم، فلن يكون لدينا وقت قبل عودة دان.. وتعلمين هذا!...

فابتسمت أنجيلا للسيدة، ثم قالت بعد أن علا الوجوم وجهها:

ـ لقد عادت بيرنيس إليه.

ـ أووه.. يا إلهي! كم هذا أمر مزعج! لم أفكر بهذا مطلقاً.. ذلك الرجل لم يتزوجها؟ أليس كذلك؟

ـ أجل، لم يتزوجا...

ـ لا تقولي إنها تمثل دور «مكسورة الجناح» على دان؟

ـ أوه.. لا أبداً. لا شيء يدل على أنها مكسورة الجناح... لقد أخرجت نفسها من المشكلة بشكل جيد ورائع قبل حصول أي ضرر، ولم يعد لديها مشكلة سوى متى وكيف ستعود إلى دان.

ـ ما هذه الوقاحة! وهل تجاوب دان مع معزوفتها؟

ـ لستُ أدري.. في الواقع. لقد أبقيتهما بعيدين قدر استطاعتي...

ـ شكراً لكِ على هذا يا عزيزتي.

ـ لكن بوسائل غير شريفة كما أعتقد. ثم التقيا دون توقع، وقبل أن أستطيع التفكير كيف سأشرح وجهة نظري في الأمر لدان، ومن الطبيعي أن أبدو لهما سيئة النوايا.

ـ بأية طريقة؟ ولماذا؟

ـ لقد بدوتُ وكأنني أخلق الشقاق بين اثنين يحبان بعضهما.

صمتت السيدة برهة تتفرس بوجه أنجيلا.. ثم سألتها:

ـ هل أنت واثقة أن دان ينظر إلى الأمر هكذا؟

ـ لا أرى كيف يمكن له أن يفكر غير هكذا.. لقد قال لي إن تدخلي في شؤونه الخاصة غير مبرّر، ولا يحق لي ذلك.

تمتمت السيدة مفكرة وجاء كلامها كمدعاة للاطمئنان:

ـ كم أنها جملة صعبة يقولها المرء حين يكون غاضباً.. وأتساءل كم كان دان حقاً غاضباً، وكيف بدت تصرفاته وهو يشعر أنه يجب عليه أن يبدو غاضباً.

ـ أوه.. سيدة سايرز.. أخشى أن يكون هذا مجرد تفكير مليء بالأمل.. فقد كان بالفعل غاضباً.

ـ ولم تصطلحا منذ ذلك الوقت؟

ـ لقد قال لي اليوم في السيارة، إن المرء لا يستطيع المثابرة في مثل هذا الخصام... وقال شيئاً عن عدم القدرة في الحكم على المستقبل من خلال خلاف يحصل بين الأصدقاء...

ـ وهل كان يعنيك بهذا؟ أم أنه كان يتحدث بشكل عام؟

ـ لست أدري.. أوه.. وكم أتمنى لو أعرف الوضع بالضبط بينه وبين بيرنيس!...

ـ لا تقلقي نفسك بهذا عزيزتي.. إنه مجرد رد فعل سلبي.. والأهم الآن إصلاح الموقف بينك وبينه.

ـ لكنني لا أظن.. أنه كان هناك أبداً...

ـ بكل تأكيد هناك! لا تستخفي بقدراتك في مجال الجاذبية. ولا تشحني نفسك بمشاعر الذنب يا طفلتي.. وإذا حاولتِ فصله عن بيرنيس، فكوني على ثقة من حصولك على بركات أمه...

ضحكت أنجيلا على مضض، وقالت:

ـ جعلتني أشعر بأنني أفضل حالاً الآن سيدة سايرز.

دخل دان في تلك اللحظة إلى الغرفة، وبدت عليه الدهشة، بالطبع، لسماع هذه الكلمات من أنجيلا.. فنظر إلى أمه برضى وقال:

ـ وأنتِ كذلك تبدين أفضل حالاً أمي، بعد هذه الزيارة.

ـ أجل بنيّ، فهذه الحبيبة جعلتني أحس أنني أفضل حالاً لمجرد وجودها والحديث معي.. يجب أن تأتي بها ثانية وقريباً، اتفقنا؟

فابتسم دان لأنجيلا ابتسامة دافئة، جعلت ساقيها ترتجفان:

ـ سأفعل بكل تأكيد أمي. طبعاً إذا وافقت أنجيلا.

ردت عليه ابتسامته:

ـ بكل تأكيد سأوافق وسأكون مسرورة جداً برؤية السيدة سايرز.

حديثها مع أمه أعطاها شجاعة من نوع جديد، وجعلها ترى الأمور بمنظار متفائل جداً.

تودعتا بحرارة وعاطفة صادقة، ثم خرجت أنجيلا من المستشفى إلى جانب دان، ورأسها مرتفع كما شجاعتها. فكما قالت السيدة سايرز: لماذا كل هذا الاهتمام المبالغ به للموقف بين دان وبيرنيس؟ عليها النظر بدلاً عن هذا إلى الموقف بينها وبينه، وكيفية إصلاحه!

مزاجها المرتاح من جديد لازمها طوال وجبة العشاء التي أصرّ دان على تناولها معاً... أثناء العشاء راح دان يمازحها كما كان يفعل من قبل، ولم يتردد مطلقاً في مناداتها باسمها الأول. وكم كانت أنجيلا سعيدة بهذه الأمسية... إلا أنه هذه المرة لم يوصلها إلى شقتها، فقد كان مرتبطاً بموعد لم يستطع إلغاءه. فأوصلها إلى أقرب محطة باصات، وانتظر حتى ركبت الباص، وقال لها قبل أن تصعد مباشرة:

ـ أنا سعيد لأننا جددنا هذه العادة مرة أخرى.

ـ أوه دان..! وأنا كذلك! وشكراً لك على هذه الأمسية الرائعة.. كما أنني سعيدة لإصلاح الأمور بيننا...

ضحك، ثم ضغط على يدها قائلاً:

ـ حسناً.. لم أستطع ترك الأمور على ما كانت.. على الأقل في ظل هذه الظروف الخاصة.

ولم تستطع أن تسأله ماذا يعني بالظروف الخاصة. فقد أُعلن موعد انطلاق الباص.

طوال الطريق، بقيت أنجيلا محتارة، تفكر بالكلمات الأخيرة التي قالها دان... لا شك أنه يشير إلى حب أمه لي... وإصرارها على رؤيتي!...

ما إن وضعت المفتاح في قفل باب الشقة حتى تذكرت أنها لم تتصل ببيرنيس لتعلمها بتأخرها، لكن لم يبدو عليها القلق حين سألتها أنجيلا:

ـ مرحباً.. هل قلقتِ على تأخري؟

ـ لا.. كنت أعلم.

ـ تعلمين ماذا؟ وكيف؟

ـ اتصل بي دان من المكتب وقال إنه سيأخذك لزيارة أمه.

ـ أوه.. هل فعل هذا؟

أحست أنجيلا بالقشعريرة الباردة تغلّف جسدها، أيمكن أن يكون دان على هذا المستوى من الوفاق مع بيرنيس... ولم تعلق... واستدارت لتدخل غرفتها فأحست بشيء يصدم وعيها بقوة وكأنه طلقة رصاصة:

لقد كانت بيرنيس تمسك مقبض باب غرفة الجلوس بيدها.. وفي إصبعها كان يلمع.. خاتم خطوبتها.. خاتم دانيال!

* * *

١١ ـ لم يبقَ إلا السفر

بذهول كبير، سمعت أنجيلا نفسها تسأل بيرنيس وبهدوء:

ـ أراك تضعين خاتم دان ثانية... هل جددتما الخطوبة؟

تفحصت بيرنيس الخاتم بمحبة، ثم قالت بلهجة المنتصر:

ـ أجل... ألم يقل لكِ دان شيئاً عن الموضوع؟

أحست أنجيلا بكراهية مريرة له وهي تجيب:

ـ لا. لم يأتِ على هذه السيرة أبداً.

ـ ربما اعتقد أنكِ عرفتِ.. مني طبعاً..

ـ هذا ممكن.. في الواقع...

فجأة تذكرت أنجيلا قوله إنه سعيد للمصالحة بينهما في «الظروف الخاصة». وهي... المسكينة الغبية... عذّبت نفسها طوال الطريق إلى الشقة تتساءل عما يعنيه بالظروف الخاصة. لكنها أبداً لم تفكر بالحقيقة البسيطة. إنه يريد أن يكون على وفاق معها لأنه سيتزوج ابنة خالتها. وهذا كل شيء، ليكونوا مجرد عائلة لطيفة دون خلافات بين أفرادها.

حسناً بيرنيس لقد عرفت الآن!

أرادت أن تعرف متى اتخذ دان القرار... وكم استغرق من وقت ليدرك أنه لا يزال راغباً في الزواج من بيرنيس، بالرغم من كل شيء... لكن الكلمات اختنقت في حنجرتها، ففضلت الصمت...

فقالت بيرنيس بلهجة من يتفهم الأمر:

www.elromancia.com

ـ لا بأس أنجيلا.. أعلم أنكِ لا ترغبين في مناقشة الموضوع.. تمني لي الخير فقط، واتركي الأمر كما هو.

ردت أنجيلا ببرود:

ـ أتمنى لك الخير.

ثم دخلت غرفتها.

لكن هذا يبعد عن الحقيقة كثيراً.. فهي لا تتمنى لها الخير إطلاقاً.. بل إنها تكرهها في هذه اللحظات... وتكدّست في رأسها أفكار سوداء، مريرة، غير مألوفة.

إنها لا تستحقه.. إنها مجرد عابثة حمقاء، مستهترة، لا ثابت فيها حتى الماكياج.

لكنه هكذا أحبها... وهكذا لا يزال يحبها!

أما أنجيلا فهي تريده فقط أن يعرف أنها تحبه. تريده أن يعيش حبها العميق الثابت، أمام هوى بيرنيس الطائش.

لكن ما الفائدة؟ إنه يحب بيرنيس، وهذه هي البداية والنهاية.

في الواقع كان يتملكها إحساس مخادع رهيب بأن هذا هو دورها المرسوم لها.. كل المتغيرات، الآمال، الدموع، الإمكانيات، الأحداث السعيدة التي عاشتها خلال أسابيع ضاقت كلها فجأة لتعود إلى وضعها السابق غير المحتمل... لقد عاد دان إلى وضع من سيتزوج بيرنيس، وهي ليست سوى ابنة الخالة المحبوبة التي ستقف متفرجة بكل لطف ومحبة...

الآن فقط، وفي عمق تحررها من الوهم، تستطيع أن تقيس إلى أي مدى ارتفعت آمالها على أساس حكم السيدة سايرز الخاطىء، وما راود تفكيرها خلال العودة من المطعم إلى المنزل.

مرت عليها ليلة رهيبة، لم تنم خلالها كثيراً.. كانت أحياناً تلوم نفسها لتفاؤلها الأحمق، وأحياناً كانت تشفق على نفسها لأنها ضحية مجموعة من الظروف القاسية التي لم ترحمها... لكن، قرابة الصباح،

وبعد تفكير مضني، أجبرت نفسها على تقبل حتمية القدر، بأن الحياة يجب أن تستمر، حتى ولو أحست باليأس. إلا أنها راحت تحادث نفسها: لن أستطيع الاستمرار في رؤية دان يوماً بعد يوم وهو على وشك الزواج من بيرنيس!...

هذا هو القرار الوحيد الذي استطاعت التوصل إليه بعد أرق ليلة خالتها دهراً. فمن المستحيل الاستمرار في العمل مع دان، إذا تزوج من بيرنيس... والفرصة الوحيدة أمامها لاستعادة هدوء بالها هو تركها العمل بأسرع وقت وتقبّل الوضع كما هو، وتفهم أنه أصبح من المستحيل عليها تغييره. إضافة إلى سعيها من جديد لإيجاد عمل في مكان آخر وتنظيم حياتها.

أحست بألم لا يطاق لمجرد تفكيرها بحياة ليس فيها أي اتصال بدان... لكن، بكل التعقل الذي بقي لها، أدركت أن هذه هي الفرصة الوحيدة أمامها للبحث عن سعادتها في مكان آخر.

وبجهد وعناء كبيرين، اعتنت بمظهرها ذلك الصباح. فلا بيرنيس، ولا دان يجب أن يعتقدا بأن قرارهما بالعودة إلى بعضهما قد شتتها وآلمها، ولو أن هذا سيكون آخر جهد تقوم به، فهي مصممة أن تبدو جميلة، مرحة، وواقعية. وقد استطاعت إخفاء كل أثر لليلتها المتعبة.

في طريقها إلى المكتب، حيث لا أحد يعرفها، ليرى حقيقتها، استرخت في المقعد الأمامي للباص، وعيناها مغمضتان، والتعب والإرهاق باديان على وجهها. لكن باقترابها من مكان العمل، جمعت قوتها وإرادتها، ونزلت من الباص، ثم سارت برشاقة فوق السلالم الموصلة إلى المكتب، إنسانة مشرقة الوجه، متملكة الأعصاب، واثقة النفس، وكأنها لا تواجه أية مشكلة لا يمكن حلها...

لكن أقسى امتحان ستواجهه على الإطلاق، هو حين ستدخل مكتب دان....

في البداية، فكرت بالتلميح إلى تجدد خطوبة بيرنيس بطريقة

ودودة، وإذا أمكنها، ستقدم التهنئة له. لكن حين تخيّلت الموقف، أدركت أنها لن تتمكن من ذلك...

وفكرت أنه هو بنفسه، كان يعتقد أنه من غير المناسب إخبارها.. إذن فلا داعي على الإطلاق أن تأخذ على عاتقها هذه المهمة المزعجة في طرح الموضوع. فمما قاله لها في الأمسية الماضية، علمت أنه يعتقد بأن بيرنيس أخبرتها. فأفضل طريقة الآن هو تجاهل الموضوع، والاستمرار بشكل طبيعي قدر المستطاع في علاقتها العملية به... إلى أن تجد عملاً آخر... وستبدأ البحث منذ اليوم!...

وبالفعل.. استغلت أنجيلا فرصة الغداء لزيارة وكالة عمل قريبة لتسأل عن عمل جديد.

المرأة التي قابلتها هناك، راجعت بعض الأوراق، سألتها عن مؤهلاتها وخبرتها، ثم سجلت بعض الملاحظات، وقالت لها أن في الوقت الراهن لا وظائف شاغرة في الوكالة.

عضت أنجيلا شفتها لتكبح خيبة أملها، وهي من كانت مؤمنة أنها لن تستطيع إكمال أسبوع الإنذار في العمل لدى مؤسسة مارلو وسايرز، وأحست برغبة شديدة في البكاء إلا أنها استجمعت قواها وسألت المرأة:

ـ هل أنت واثقة.. قد لا أصر على نفس الشروط التي أعمل بها الآن، وقد أعيد النظر في قبول عمل خارج نيويورك.

ـ أترغبين في السفر؟

ـ إلى الخارج؟ إذا كان لمدة محدودة، لا بأس.

وأحست بحماس غريب لقطع كل ارتباطاتها التي عرفتها حتى الآن. وسألتها المرأة وكأنها تقول لها ببساطة: أتسافرين إلى بوسطن مثلاً:

ـ أتقبلين الذهاب إلى أفريقيا؟

شهقت أنجيلا:

ـ حسناً.. أنا.. وفي أية ظروف؟

ـ زبونة لنا.. كاتبة مشهورة، ستسافر إلى هناك لمدة سنة لجمع معلومات لأجل كتاب ستؤلفه، وسكرتيرتها مريضة، ولن تستطيع مرافقتها. وتفضل أخذ سكرتيرة معها، بدل استخدام أحد هناك. فهل أنت مهتمة؟

بللت أنجيلا شفتيها متوترة: أيمكن أن تكون مهتمة فعلاً؟ أيمكن أن تهتم بعرض عمل مغري كهذا يضع نصف العالم بينها وبين دان؟

بالطبع، هذه فرصة لا تعوّض، إذا كانت محظوظة في الحصول عليها. إنها أبعد من أي شيء خططت له أو أملت به... حياة جديدة بالكامل... اهتمامات جديدة... تجارب جديدة، مما يساهم بكل تأكيد في مساعدتها على نسيان دان وما يعنيه لها، وما لاقته من آلام في حبها له.

ـ ومتى يجب أن... أقرر؟

ـ خلال يومين أو ثلاثة. فلن تكوني الوحيدة الساعية وراء الوظيفة!...

ـ بالطبع.. أدرك هذا.

يتوجب عليها وتعرف هذا، أن تقرر بسرعة، وأن تذهب لمقابلة الكاتبة الشهيرة، وتحاول تسوية كل شيء معها قبل أن يسبقها أحد.

لكن، ستكون في نصف الدنيا الآخر، بعيداً عن دان...

التصميم على أن لا تراه ثانية أمر... وتنفيذه أمر مختلف... خاصة عندما يصبح زوج بيرنيس، إلا أنه باستطاعتها عدم رؤيته لمدة سنة تكون كفيلة بنسيانه والتأقلم من جديد مع حياة جديدة لا مكان لدان فيها!

ثم قالت للمرأة بحماس:

ـ أعطني التفاصيل، وسأذهب لمقابلتها بعد موعد العمل.

ـ ألا يمكن أن تذهبي الآن؟ فالأمر مهم.

ـ أعلم، لكنني يجب أن أعود إلى عملي الحالي.

ـ حسناً.. لكن لا تأملي كثيراً. فكما قلت لك، هناك الكثيرات الساعيات وراء الوظيفة.

وهي في طريق العودة إلى المكتب، قالت لنفسها إنها ضعيفة الإرادة وعديمة الشكر للعناية الإلهيةفيما لو لم تتمسك بهذه الفرصة العظيمة بكلتي يديها.

وراحت تستحضر وضعها الحالي: إنها حرة أكثر من غيرها لتقبل بمثل هذه الوظيفة. لا عائلة، لا ارتباطات، وعلى الأخص لا ارتباطات تعترف بها، كما أنها بحاجة ماسة لما يبعدها عن مسرح حياتها الحالي، ويجب أن تنظر إلى هذه الفرصة كمعجزة أرسلتها لها السماء.

لم تجد في أول قسم من بعد الظهر، ما يشغلها كثيراً في المكتب.. لذا تمكنت من متابعة تفكيرها بالسفر... أكثر من عشر مرات صممت على قبول السفر إلى أفريقيا لمدة سنة... وأكثر من عشر مرات أيضاً، وجدت الأعذار للرفض. مع أنها تعلم في أعماقها أنها كلها أعذار واهية، سببها الوحيد مهما أنكرت، أنها لن تستطيع العيش بعيداً عن دان...

لكنه الآن بعيد عنها أكثر من أفريقيا...

في خضم صراعها مع أفكارها، سمعت رنين الجرس يخبرها بطلب دان لها!... فارتبك تفكيرها وأدركت أنجيلا وهي تنظر إليه جالساً وراء طاولته، أنها طالما ستراه أحياناً، سيبقى هناك أمل خطير: ربما في يوم ما سيصبح لي... فأنا أفهمه.. أحبه.. ولأنني...

إنه منحنى تفكير خطير مهلك لن يوصلها سوى إلى الكارثة! ومزيد من الألم والتعاسة.

من الغريب أنها بعد ساعتين من الصراع مع القرار واللاقرار، اتخذت قرارها في الوقت الذي استغرقه دان فقط ليمد يده إلى الرسالة على الطاولة لإملائها عليها. وعلى الرغم من رغبة متهورة لوضع يدها

على تلك اليد، أدركت مدى المخاطرة والبؤس اللذين ستمر بهما، إذا لم تستجمع شجاعتها ولمرة واحدة، للانفصال عنه.

بهدوء، انتظرت إلى أن أنهى إملاء رسائله. ثم طوت دفترها ودست القلم فيه، وقالت بصوت هادىء:

ـ أرجو أن لا يكون كلامي صدمة لك... لكنني حصلتُ على عرض غير متوقع لوظيفة مغرية، وأريد قبولها.. في أسرع وقت ممكن...

رفع دان رأسه عن إحدى الأوراق التي كان يدقق فيها، وبدا على تعبيرات وجهه الذهول وخيبة الأمل:

ـ ماذا قلت؟.. أتعنين أنكِ تريدين تركي؟

فكرت أنجيلا أنه ليس محتاجاً ليجعل الأمر يبدو شخصياً.. لكنها قدّرت أن لذهوله وخيبة أمله علاقة بالأزمة التي حصلت بينهما.. فسارعت تقول:

ـ ليس لقراري هذا علاقة بما.. علاقة بخلافنا. أرجوك، لا تظن مطلقاً، أنني لم أكن سعيدة هنا. لكن تلك الوظيفة فرصة كبيرة لي، ولا أريد أن أخسرها.

ـ فرصة كبيرة؟ ماذا تعنين؟

ـ إنها وظيفة مهمة جداً.. في الخارج.

ـ في الخارج؟ أين.. في الخارج؟

ـ في أفريقيا.

نظر إليها بتعجب وحيرة:

ـ لا أصدق ما أسمع.

ـ لكن لماذا لا تصدق؟ فالناس عادة يسافرون إلى أفريقيا للعمل.

وجاء ردّه وهو يمرر يده في شعره دليل الارتباك:

ـ ليس بالنسبة لكِ... لماذا ترغبين في السفر.أنجيلا؟

ـ لأنها فرصة عظيمة.

ـ أتعرفين أحداً هناك؟

ـ أوه.. لا.. أبداً.

ـ أتسافرين مع شخص تعرفينه؟

ـ لا.. فأنا...

وترددت.. فقال:

ـ أجل.. أكملي؟

جمعت شجاعتها وقالت:

ـ لطالما أردتُ السفر، وأعتقد أن معظم الناس يحبون السفر. لكن لم تسنح لي الفرصة من قبل.. وهذه الوظيفة تبدو لي فرصة رائعة للتعرف على عالم جديد.

بدا لها أنها أثّرت فيه بنقاشها.. على الأقل لم يصرف النظر عن هذا النقاش أو يعتبره سخيفاً... ساد الصمت قليلاً وقد جلس دان محني الظهر فوق مكتبه ينظر إليها بتجهم. ثم تمتم:

ـ ظننتُ... لم أكن أتصور... طبعاً القرار عائد لكِ في النهاية... إذا كنتِ واثقة تماماً أن هذا ما ترغبين به...

هزت رأسها بصمت، كتأكيد لرغبتها في السفر، فسألها:

ـ ومتى من المفترض أن تسافري؟

ـ كنتُ آمل أن تعتبر كلامي إنذاراً لترك العمل بعد أسبوع.

ظنت أنه سيجادلها.. لكنه قال بعد لحظة:

ـ حسناً إذا كانت هذه رغبتك، فأنا مستعد للقبول... لكن الأمر كله يبدو مفاجئاً وغير مريح.

ـ مثل هذه الأمور تحدث فجأة في أغلب الأحيان، ودون أي حساب لها.

ـ حسناً، آمل أن تكوني فكّرت بالمسألة جيداً أنجيلا.. وأرجو أن لا تفعلي شيئاً قد تندمين عليه فيما بعد...

ـ كما قلت لك، فالتفكير بالسفر ليس وليد ساعته، إلا أنه كان

ينتظر الوقت أو الفرصة المناسبة للتنفيذ.

ـ حسن جداً.

وأشار بيده دليل انتهاء النقاش.. وبضعف، كمن مرت به عاصفة هوجاء، جمعت استيائها وألمها وخرجت...

في مكتبها المشترك، عملت بجهد، حتى بعد ذهاب الأخريات ما عدا واحدة، فتاة رقيقة اسمها لوسي ديريو، والتي كانت أحياناً تذكر أنجيلا ببيرنيس.

لوسي كانت ذاهبة تلك الأمسية إلى مكان ما، ومضطرة إلى ملء وقتها، وقبلت بأن تساعد أنجيلا قليلاً. وكانت موهوبة في الطباعة والكلام في نفس الوقت، وهذا أمر لم يكن ينال موافقة الجميع. وأخذت لوسي ترمي شائعات عجيبة غريبة أمام أنجيلا وهي تتابع العمل على آلتها الكاتبة.

أنجيلا كانت تحاول التوفيق بين مطلبين ملحّين تقاسما جهدها: العمل وأفكارها... وكان بإمكانها أن تطلب من لوسي الصمت.. لكنها لا تستطيع أبداً إحراج أو مضايقة من يساعدها بطيبة خاطر. وهكذا أخذت ترد على التعليقات أحياناً، مع أنها لم تكن مهتمة بشؤون الآخرين الخاصة. بعكس لوسي التي تجد متعة وسحراً في تقصي ومعرفة أخبار الآخرين.

أخرجت لوسي الأوراق التي كانت تطبعها من الآلة وسألت أنجيلا:

ـ أنت متفقة معه تماماً.. أليس كذلك؟

ـ أوه.. طبعاً.

ـ ليس «طبعاً» أبداً. إنه محط أنظار الفتيات. لكنه لا يهتم بهن... فهو لا يهتم بخطيبته مثلاً.

ـ ومن أين لك أن تعرفي مثل هذه الأمور حقاً؟

ـ أوه.. بل نعرفها.. لقد تخلت عنه خطيبته لأجل ذلك، ألا

تعلمين؟

ـ لكنها كانت سعيدة في العودة إليه.

فتوقفت لوسي عن العمل:

ـ لا! هل هذا صحيح؟ هل عاد السيد سايرز إلى خطيبته؟

ـ أجل.

ـ اسمعي! لم أكن أعرف أنكِ تتحدثين معه بمثل هذا.

أرادت أنجيلا أن تشرح لها الأمر، لكن الشرح قد يوصلها إلى القول بأنها قريبة لبيرنيس، وإلى التساؤل لماذا أبقت هذا الأمر سراً حتى الآن.. وقريباً ستترك العمل هنا على أية حال. إذن لا حاجة لأن تدخل في تفسيرات لا لزوم لها. فقالت:

ـ أوه.. إنه يتخلى عن الرسميات أحياناً ونتبادل الحديث...

ـ صحيح؟ هذا جيد! لا بد أنه يرتاح للحديث معكِ!

ورن هاتف أنجيلا الداخلي، فصاحت:

ـ أوه.. يا إلهي!

فأمامها الكثير من العمل، ومن المفترض أن تذهب لمقابلة صاحبة عرض السفر في أسرع وقت ممكن.. وهي كذلك تشعر أنها لن تتحمل رؤية دان ثانية اليوم.. فسألتها لوسي:

ـ أستطيع الرد عنكِ إذا رغبتِ.

ـ أوه.. أتفعلين هذا حقاً؟ شكراً لك.

ـ أجل، أمامي ساعة أخرى، وأنت لديكِ عملٌ كثير...

خرجت لوسي من الغرفة لترد على دان، واستمرت أنجيلا تعمل لفترة.. وأحست بالندم لأنها لم تدخل إليه بنفسها.

لربما أراد أن يقول لها شيئاً مهماً، ففكرت أنه لم يعد أمامها الكثير من الفرص لتراه، وربما في المستقبل ستندم على خسارتها لواحدة من تلك الفرص.

كانت تشعر رغم خوفها من عدم حصولها على الوظيفة، أن كل ما

عليها فعله، هو التقدم إلى هذه الوظيفة في أفريقيا وستحصل عليها، وكأنما القدر يريد ذلك.. وأقنعت نفسها كم ستكون محظوظة إذا سافرت.

عادت لوسي بعد وقت قريب جداً. قائلة:

ـ كانت رسالة قصيرة نسيها ويريد إرسالها الليلة.

فجدّدت أنجيلا شكرها للوسي دون أي تعليق..

ما إن جلست لوسي إلى طابعتها حتى اندفعت في سيل جديد من الأسئلة بغية معرفة التفاصيل...

ـ ماذا أقول، بالنسبة لما قلتيه عن رجوع السيد سايرز إلى خطيبته.. هل أنتِ واثقة؟ أعني حول الخطبة؟

ـ أوه.. أجل.. واثقة تماماً.

ـ أوه...

أكملت أنجيلا طبع آخر أسطر من الرسالة، ثم فكرت في طريقة قول لوسي «أوه» دون أي كلام آخر. فسألتها:

ـ لماذا تسألينني عن ثقتي بحقيقة الموضوع؟

ـ لأنني لاحظت أنه فوجىء حين تطوعتُ لتهنئته.

ـ وهل هنأته؟ لكن أتظنين أن هذه لباقة منك؟

ـ تقريباً. وتمنيت أن يجرّ هذا إلى شيء ما.

ـ وهل فعل؟

ـ لا.. ما عدا نظرة غريبة، وكلمة «شكراً» اقتصادية.

ـ أظنه أصيب بالحرج.

ـ ولماذا يحرج؟ الكثير من الناس يخطبون ويفسخون الخطبة، وأحياناً يعودون إليها. فهذا أمر طبيعي يحدث يومياً.

ـ أوه.. لكن الأمر كان...

وصمتت أنجيلا.. لكن لوسي بقيت منتظرة باهتمام لسماع المزيد. وفجأة فتح الباب ودخل دان، وقال موجهاً الكلام إلى أنجيلا:

ـ أتسمحين بالدخول إلى مكتبي أنجيلا.

ثم استدار على عقبيه، وعاد من حيث أتى عبر الممر، تاركاً الباب مفتوحاً كي لا يترك لها خياراً سوى اللحاق به.

فتحت لوسي فمها وعينيها إلى أقصى مدى، كي توحي إلى أنجيلا أنها تعتبر هذا أمر غير معتاد إطلاقاً من السيد سايرز.

وقفت أنجيلا دون كلمة وخرجت من الغرفة، وأغلقت الباب وراءها، لتلحق بدان عبر الممر، وقلبها يخفق بسرعة وأفكارها تتسابق في محاولة لاكتشاف سبب طلبه منها الدخول إليه.

ما أن وصلا إلى مكتبه.. حتى استدار دان إليها:

ـ ما هي السخافات التي كنتِ تقولينها لتلك الفتاة؟

ـ أية فتاة؟

ـ هذه.. الآنسة.. لستُ أدري ما اسمها..؟ ديريو.. الفتاة التي أتت لتأخذ آخر رسالة مني لتوها.

ـ لم أقل لها شيئاً!

بدأت أنجيلا تحس بالسخط في أعماقها.. لقد سئمت مثل هذا الاستجواب والتوبيخ. فقوّست كتفيها ونظرت بتحدٍّ إلى دان:

ـ لست أدري عما تتحدث؟

وبدا على دان أنه سئم أيضاً من هذا الموضوع:

ـ بكل تأكيد تعرفين! لقد هنأتني على ما كانت سعيدة في وصفه «تجديد الخطوبة».. وحين سألتها من قال لكِ هذا قالت أنتِ قلتِ لها.

ـ حسناً.. ولماذا لا..؟ أهو موضوع محرّم ذكره؟

دهشت أنجيلا عندما لاحظت القساوة في نبرة صوتها.. لكن عذرها أنها متعبة وتعيسة جداً، وترغب في التخلص من الحديث حول هذا الموضوع بأسرع وقت.

حاول الرد بكلام بدا من تعابير وجهه أنه كلام غاضب لكنه عاد وصمت.. ثم قال بلهجة أكثر هدوءاً:

ـ حسناً.. اجلسي، وأخبريني ما الأمر؟

همست وهي تجلس: «لا شيء» ولم تعد تفكر لدقائق سوى كيف تمنع نفسها من البكاء أمامه.

وقف يراقبها بحيرة. وبعد فترة صمت أحست أنها مستعدة لمواجهة أي كلام غير منطقي قد يقوله حولها وحول بيرنيس وخطبتهما المتجددة. فرفعت رأسها نحوه دون أي كلام، فسألها:

ـ حسناً؟

لكنه لم يتطرق إلى ذلك الموضوع.. سألها بألم وحزن ظاهرين:

ـ أيجب أن تسافري إلى أفريقيا حقاً؟

فردت بحزن مماثل:

ـ لا.. لكنني فكرت.. أنها فكرة جيدة.

ـ لكن لماذا بحق السماء؟

بدت لهجته لهجة رجل محب متمسك برجاحة عقله بكل قوة. فقالت وهي تتلاعب بطرف فستانها بين أصابعها:

ـ أتريد حقاً أن تعرف؟

ـ أكثر من أي شيء آخر... تقريباً أي شيء في الدنيا.

ـ حسناً.. إنني أشعر لو أنك ستتزوج بيرنيس، فمن الأفضل أن أكون بعيدة عنك في الطرف الآخر من العالم.

ثم راحت تبكي بصمت وهدوء.

ـ لكن حبيبتي....

لم تصدق ما ترى، حين ركع فجأة أمام كرسيها ولف ذراعيه حولها قائلاً:

ـ لكنني... لن أتزوج من بيرنيس.. ما الذي جعلك تظنين هذا بحق الله؟

فصاحت أنجيلا بلهجة اتهام بعد أن مسحت دموعها:

ـ أليست مخطوبة لك من جديد، ألم تعطها خاتم الخطبة ثانية؟

إنها.. إنها.. ترتديه. فلماذا تنكر ذلك؟

ساد صمت طويل، ثم سألها:

ـ منذ متى وهي ترتديه؟

ـ منذ ليلة أمس.. وكيف يمكن لها أن ترتديه لو لم تعطها أنت إياه؟

ـ لأنها بكل بساطة لم تعده لي حين فسخت الخطوبة...

ـ أوه!

حدقت به مذهولة وراحت تفكر كيف استطاعت ولأربع وعشرين ساعة، أن تنسى كم يمكن لبيرنيس أن تكون بلا ضمير في سبيل تحقيق ما تريد..

ـ تعني أنها...

وصمتت، لتمر بهما موجة خجل معاً بسبب بيرنيس.. وهو خجل لا يمكن لبيرنيس أن تعرف معناه. ثم تابعت:

ـ ألم تعد إليك خاتم الخطوبة حين فسختها؟

ـ ألم يكن الفراق.. مفاجئاً؟ أنسيتِ ماذا حصل؟

ـ طبعاً... لا.

وساد صمت آخر، قالت بعده أنجيلا:

ـ ربما كانت بيرنيس تمزح ليلة أمس.. تحاول لعب لعبة سخيفة مثلها.. كي تزعجني..

وعلم كلاهما أنها لم تكن تحاول اللعب أو المزاح، بل هي تحاول رد التحية بأحسن منها لخداع أنجيلا لها. لكن دان، الصادق النية، مثل أنجيلا، أراد إعطاء تصرفات بيرنيس التشريف الذي لا تستحقه، فوافق على هذه الإمكانية، بأن بيرنيس لا بد كانت تمزح.

وتنهدت أنجيلا طويلاً، وقالت بحياء:

ـ إذن، أنت لن تتزوج بيرنيس؟

ـ لا.. لأنني أريد أن أتزوجك أنت...

بقيت مسمّرة جامدة في مكانها، خائفة من أي شيء ربما يقال أو يحدث فيغيّر من جمال الكلمة التي سمعتها. ثم أضاف بلطف:

ـ إلا، إذا كنتِ مصرّة على الذهاب إلى أفريقيا..!

استدارت لتسند رأسه إلى كتفها:

ـ أوه... دان... ما دفعني لهذا سوى اليأس.

فقبل رأسها بلطف:

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة. كيف يمكن لكِ الظن أن البعد إلى أفريقيا قد يساعدك على النسيان!...

ـ لم أكن أستطيع مراقبة زواجك من بيرنيس.

ـ آسف يا حبيبتي.. ما كنت أعرف كل الذي يجري...

ـ ولم أُردْكَ أن تعرف.. كنتُ خجلة جداً من نفسي.. أن أكون أحب رجلاً هو ملك لفتاة أخرى.

ضمها إليه وكأنه يحاول حمايتها حتى من أفكارها، وقال:

ـ لا حاجة لأن تشعري هكذا بعد الآن.

فكرت بما يجري الآن بسعادة لا توصف، ثم سألته لتتأكد من تحقيق حلمها:

ـ دان.. هل تعني ما قلتَ لتوك؟

ـ أي شيء من الذي قلته؟

ـ حول الزواج مني؟

هذه وحدها كانت الجملة المهمة لديها من كلامه.. فضحك وقال مؤكداً:

ـ حبيبتي.. قدري كله بين يديك. لكن إذا رفضت الزواج مني، فسأتزوج بيرنيس، وأبقى تعيساً طوال حياتي.

فابتسمت قائلة:

ـ لا حاجة لك بهذا.. لكن، لماذا لم تقل لي مساء الأمس؟ ألم تكن واثقاً مما تريد؟

- بالطبع كنت واثقاً! وظننت أنني لمحت لكِ عما أريد حين تودعنا.

- إنه تلميح يمكن أن يعني أشياء كثيرة.. ومن الأفضل أن يكون المرء واضحاً في مثل هذه الأمور.. فأنت لا تعرف كم هو فظيع الإحساس بالشك، وإيجاد تفسيرات مختلفة للكلام!...

ضمّها إليه بقوة:

- لن اضطر لأن أكون واضحاً بعد الآن... فاعلمي أنني أحبك، وسأتزوجك، ولن يكون هناك بيننا أي سوء تفاهم أو خداع أو مواعيد للعمل في أفريقيا.. أهذا واضح؟...

- واضح تماماً. أوه.. دان.. أشعر أن هناك الكثير لأشرحه لك.. لقد تصرفتُ بطريقة سيئة حول رجوع بيرنيس.. لكنني أحببتك كثيراً، وهي لم تكن تحبك بصدق. لذا بدوتُ لكَ أنني تصرفت بطريقة غريبة غير لائقة، ودون خجل.. لكن...

فقاطعها:

- حبيبتي. لا تحاولي العودة لذكر هذه الأمور الآن، فأنا لم أعرف في البداية ما الذي دفعك إلى هذا. لذلك قلتُ ان ذلك كان أسوأ تدخل في شؤوني الخاصة عرفته في حياتي... لكن حين أدركتُ الحقيقة، بأن ما حصل كان بسبب حبكِ لي، لم أعرف كيف أستطيع استعادة الصداقة الحميمة التي كانت بيننا. أحياناً كنتُ أظن أنني فقدتك نهائياً، وأحياناً كنت أظن أن المسألة كلها مختلطة عليّ... وبينما أنا في صراع لحسم تفكيري... فجأة ساءت أحوال أمي.

فقاطعته أنجيلا بعفوية:

- لم يكن الأمر مفاجأة؟

فسألها باستغراب:

- ما الأمر إذن؟

- ذكاء أم تحب ولدها كثيراً...

وضحك دان وقد فهم الذي حصل دون أن تشرح له أنجيلا...!

- يا إلهي! حين كنتِ معي ليلة أمس بدأت بذلك الأمل. وما أن قلتُ لكِ تصبحين على خير حتى كنتُ متأكداً...

- وأنا كذلك دان. وكذلك أنا! لكنك لن تستطيع تصور ما أحسستُ به حين دخولي إلى شقتي ورؤية الخاتم في إصبع بيرنيس.

- بلى.. أستطيع التصور، فهذا يشابه نفس الإحساس الذي أصابني ساعة قلتِ لي إنك مسافرة.

- لم أكن أمزح.

فضحك قائلاً:

- جهزي أغراضك وسنخرج لنحتفل.

- لكنني لم أنهِ طباعة الرسائل بعد... أوه بلى، انتهيتُ منها لكنك لم توقعها...

- حسناً.. أحضريها جميعاً، وسأوقعها وأنتِ تستعدين.

- لن أتأخر...

لكنه أمسك بها لحظة:

- كل شيء على ما يرام الآن.. أليس كذلك؟

- بكل تأكيد دان.

- لا أخطاء، لا تغيير للرأي، ولا خداع طيب النية؟

- أبداً يا حبيبي.. وستزوج حال أن تجد سكرتيرة تحل مكاني.

- لقد أعطيتني إنذاراً بترك العمل لمدة أسبوع، وسأتمسك به!

ضحكت، وركضت فرحة إلى مكتبها، حيث كانت لوسي بانتظارها، مع كمية كبيرة من القلق والفضول، فاستدارت عن المرآة حيث كانت تصلح زينتها، وأحمر الشفاه في يدها:

- حسناً... هل كان غاضباً كما بدا عليه؟

أبدت أنجيلا الدهشة وهي تجمع الرسائل:

- غاضب؟ أبداً.. مطلقاً.

ـ ظننته سيوبخك بقساوة لأنني قلتُ له إنكِ أخبرتني بعودته إلى خطيبته السابقة.

ـ حسناً.. كان هناك غلطة بسيطة...

ـ أتعنين أنه ليس خاطباً مرة أخرى؟

ـ أوه.. بلى.. إنه خاطب.. لكن ليس لخطيبته السابقة... لقد أخطأنا في الفتاة وهذا كل شيء.

ضحكت لوسي:

ـ إنها غلطة بسيطة.. يعجبني هذا!...

ـ وكذلك أنا. أتمنى لكِ أمسية سعيدة.

وخرجت أنجيلا من الغرفة عائدة إلى دانيال...

***

www.rwayaty.com
روايتي